ارسين لوبين

أرسين لوبين في قاع البحر



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها ٠

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " موريس لبلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والإنتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة ٠

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس ٠

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان ٠

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة ٠

فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم ٠

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّبة

أرسين لوبين في قاع البحر

(٨)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونيه – لبنان

الفصل الأول

لم يكن هناك من يعرف - على وجه التأكيد - مكان "ارسين لوبين" .

كانت الصحف لا تنفك تطلع على الناس بنبأ من أنبائه أو نادرة من نوادره .. فهو اليوم قد سرق جواهر (الراجا راندات) وزار السفارة الإنجليزية فاستولى على جواهر المدعوين إلى إحدى مادبها . وهو بالأمس احتال على البارون "بروكي" فسلبه بضعة ملايين من الفرنكات ومجموعة نادرة من الصور الشهيرة .. وهو غداً يتوعد بسرقة سندات ديون الحرب في موعد يحدده بالدقيقة والثانية .. هذا إلى عبثه المعروف بالمفتش "بيشو" ، وتلك "المقالب" الظريفة التي كان يدبرها له من يوم إلى آخر بطريقة تثير الابتسام وتزيد الجمهور إعجابا بهذا اللص الظريف الجريء الذي ليس لجراته حد تقف عنده .

وعلى حين فجاة انقطعت أخباره واختفى اسمه من الصحف .

فاين ذهب ؟ وأين اختفى .!

كان هذا السؤال الذي لا يفتا يتردد في الأذهان وتجري به الألسن دون أن يدري له أحد من جواب .!

فهناك صحف تؤكد انه سافر إلى الولايات المتحدة ليسرق مناجم الذهب الموجودة هناك .. وهناك صحف أخرى تقول بنفس اللهجة التاكيدية إنه شوهد يحوم حول بنك إنجلترا بغية سرقته .. وهناك طائفة ثالثة من الصحف تؤكد أن "لوبين" هجر عالم اللصوصية واشتغل بالسياسة ، وإنه يتخذ العدة لإثارة الدول وإشعال حرب عالمية تجتاح الدنيا .

وهكذا أخذت كل صحيفة تضرب على نغمة معينة ، ولكنها كلها كانت تخمينات من وحي الخيال أرادت بها الصحف تسلية القراء وإثارة أعصابهم على أن أظرف نبأ نشرته الصحف في ذلك الصدد هو ما جاءت به صحيفة "إيكودي فرانس" إذ نشرت في صدرها بالخط العريض في أحد الأيام أنباء مثيرة تحت عناوين بارزة منها :

"ارسين لوبين" الجبان يهرب من "بيشو" العظيم - "بيشو" يكاد يقبض على "لوبين" .. و "لوبين" يتوسل إليه باكياً - "لوبين" يهجر الميدان خوفا

من "بيشو" .

وتحت هذه العناوين الضخمة نبأ فحواه أن "ارسين لوبين" سئم النضال مع المفتش "بيشو" وخشي عاقبة هذه الحرب الطاحنة بينهما فآثر أن ينجو بنفسه من السجن الذي يتهدده فغادر فرنسا وتوارى عن العيون .

وعلقت الصحيفة على النبأ بقولها : إن ما فعله "لوبين" هو عين الحكمة فالناس جميعا يعلمون الا قبل له بمقاومة "بيشو" ، لأن "بيشو" - كما هو واضح لكل ذي إدراك - اكثر منه جراة واوفر ذكاء واشد حنكة .. فالحرب بينهما غير متكافئة و "لوبين" - كما يعلم الناس - ضعيف جبان .

وواضح ان صحيفة "إيكودي فرانس" وهي المعروفة بانها لسان حال "لوبين" قد ارادت بهذا الخبر ان تتهكم على المفتش "بيشو" وأن تنتقص من قدره . وقد افلحت في بغيتها لأن هذا النبأ ظل يوما كاملا حديث الأندية . وما جرى ذكره إلا ضحك الناس ساخرين من "بيشو" الذي تقول الصحيفة إنه اوفر ذكاء من "لوبين" !.

وكان الغريب في الأمر انه لم يمض على ذلك يومان حتى ادلى المفتش "بيشو" إلى نفس الصحيفة بحديث قال فيه : إنه يعتقد أن النبأ الذي نشر عن فرار "لوبين" حقيقي ، وأن التفسير الوحيد لاختفاء "لوبين" هو انه خشي بطشه (اي بطش "بيشو") .

وعلقت صحيفة "إيكودي فرانس" على حديث "بيشو" بقولها :

- الم نقل لكم ايها القراء إنه لم يمض على ذلك يومان حتى ادلى المفتش "بيشو" إلى نفس الصحيفة بحديث قال فيه إنه يعتقد ان النبأ الذي نشر عن فرار "لوبين" حقيقي لا شك فيه . وأن التفسير الوحيد لاختفاء "لوبين" هو انه خشي بطشه (اي بطش "بيشو") .

وعلقت صحيفة "إيكودي فرانس" على حديث المفتش "بيشو" بقولها :

"الم نقل لكم ايها القراء إن المفتش "بيشو" اوفر ذكاء واكثر جراة مما نظن وتظنون !."

فكان هذا التعليق الظريف مثار الضحك بضعة ايام .

اما الحقيقة التي جهلها الناس فهي أن "لوبين" فعل في ذلك الوقت

كما يفعل أصحاب الملايين ، فاقام في يخت جميل في خليج "سانت باولو" بالقرب من مدينة دينار على الشاطئ الفرنسي منقطعاً عن العالم وما فيه من سرقات ومصادمات بالمفتش "بيشو" وأمثال "بيشو" . وبدلا من أن يكون نزيل السجن نراه يمضي وقته في السباحة أو صيد السمك أو الاستلقاء في الشمس على ظهر يخته "كورسير" يطالع كتابا .

* * *

وفي جوف إحدى الليالي استيقظ "لوبين" فجاة . !

أيقظته صرخة ما كانت لتنبه من النوم أحداً سواه . كانت صرخة خافتة بعيدة كانها صادرة من مكان سحيق . وقد جاءت إلى اذنه مختلطة بهدير البحر . ولو أن رجلا غيره سمعها لما نبهته او شعر بها، ولكن "لوبين" أشبه بالحيوان الحذر الذي يثب من النوم العميق إلى اليقظة الشاملة في غمضة عين لأقل خطر يقترب منه .

واستيقظ "لوبين" في لحظة خاطفة دون أن تنبهر انفاسه او تشتد ضربات قلبه . كان الفرق الوحيد عنده بين النوم واليقظة هو ان يفتح عينيه أو أن يغمضهما .. دون أن تنم سحنته او حركات تنفسه عما عراه من غضب ودهشة لهذه اليقظة المفاجئة .

وإذ ذاك سمع دوي الطلق الناري .

أخذ الدوي ينمو وينتشر ويتمدد حتى بلغ أذنيه ضعيفا غير واضح وقد صحبته صرخة أخرى خافتة أعقبها صوت جسم يسقط في الماء .

وثب "لوبين" من فراشه وخرج إلى ظهر اليخت فتلقاه الضباب بنسماته الباردة .. ووقف مستندا بظهره إلى غرفة القيادة كانه فهد يتربص بفريسته وقد أصاخ أذنيه للسمع .

كان مفترضا - طبقا للنتائج - أن يكون القمر بدرا يتوسط السماء . ولكن الضباب الذي كان يسود البحر في هذه اللحظة حجب القمر وشمل الأرض برداء مظلم لا تكاد تنفذ فيه العين . وارسل "لوبين" بصره فيما حوله فرأى الكائنات والجمادات معدومة لا وجود لها . وحتى ذلك اليخت القريب من يخته كانت أنواره المتلألئة قد استحالت في هذا الضباب أشبه شيء بشرر يتالق ثم يخبو .

ففي هذا الضباب المعتم لم يكن في وسعه أن يرى شيئا .. ولكن كان في إمكانه أن يصغي .. وقد أصغى .

سمع رنين سلسلة يحركها الماء .. ثم سمع صوت حبل يحركه الهواء فيصطدم بجدار يخت قريب .. ثم سمع صوت الحبل وهو يحتك بجدار اليخت .

كما سمع جلبة أصوات صادرة من الجهة التي صدر منها دوي الطلق الناري .

واعقب هذا سكون شامل . !

ولكنه كان موقنا بان هذا السكون لن يستمر طويلا . واخذ يدير راسه يمينا وشمالا مرهفا اذنيه للسمع .

ثم صكت اذنيه الأصوات التي كان يترقبها ويتوقعها .. سمع صوت مجداف يضرب وجه الماء ، وصوت قارب ينزلق على سطحه.

واخذ الصوت يشتد تدريجيا حتى غدا واضحا مسموعا في جلاء .

واخيرا ادرك أن القارب يتجه إلى ناحيته .

ولبث "لوبين" ساكنا في مكانه ولكن كانت كل عضلة من عضلاته قد تحفزت وتوثبت .. وكل جارحة من جوارحه قد تهيات وتنبهت .

لقد هجر العالم بمغامراته .. ومصادماته .. وحوادثه العجيبة . ولكن العالم يأبى أن يهجره .. ها هو ذا ياتي إليه حتى سلم يخته.. لقد ظن انه هنا يعيش بمنجاة عن المغامرات ودوي الطلقات. ولكن المغامرات جاءت إليه تسعى واصطك في اذنيه دوي الرصاص .

وعلى حين فجاة ادرك أن في البحر شخصا يسبح .. وأن هذا الشخص يتجه أيضا إلى اليخت ..

وجعل يحدق إلى الظلام .. وفي دائرة الأنوار المنعكسة من يخته على صفحة الماء راى الشبح .

وكان شبح امراة ..!

لم يكن "لوبين" موقنا كل اليقين بانها امراة .. ولكن ضربات الذراعين في الماء .. وحركات الراس .. وشكل القوام .. كل هذا أوحى إليه فيما يشبه الإلهام بانها امراة .

وسره أن تكون كذلك . فلو أن محور المغامرة كان رجلا لفقدت المغامرة

لذتها وطلاوتها .. اما ومحورها امراة فالأمر يختلف كثيرا.

اقتربت الفتاة من اليخت .. وكانما ادركها الإعياء فمدت ذراعها وتعلقت بحباله وكفت عن السباحة .

وكان "لوبين" لا يزال في موقفه عند غرفة القيادة مستترا في ظلها .

رفعت الفتاة راسها .. ورأته ..!

اجفلت وبدا عليها انها تهتم بان تعاود السباحة مبتعدة عن اليخت ولكن ضربات المجاديف كانت تقترب وتزداد وضوحا في السمع . وكانت الفتاة تعلم انه ليس من الحكمة ان تعود إلى السباحة والقارب في إثرها يسعى إليها ويحاول ان يقتنصها .

وكان "لوبين" لا يجهل حقيقة الموقف . ولا يجهل العواصف التي تتضارب في صدرها . ففي خطوة واحدة أسرع إلى طرف اليخت وانحنى فوق الفتاة ومد يده فرفعها في غير مشقة كانها طفلة صغيرة . لم تصرخ الفتاة ولم تستنجد إذ كانت تعلم ان في الاستنجاد شراً لا قبل لها به .

حملها "لوبين" واسرع بها إلى غرفة القيادة فادخلها واوصد الباب عليها ورجع إلى مكانه على ظهر اليخت في نفس اللحظة التي تراءى فيها القارب .

وارسل "لوبين" بصره إلى من في القارب .. كانوا ثلاثة .. اثنين منهم في ثياب البحارة وقد تولى احدهما المجاديف وتولى الثاني الدفة . اما الثالث فكان في ثياب عادية وقد جلس في مقدم القارب ، ولم يقف إلا حين دنوا من اليخت .

وادرك "لوبين" ان هذا الشخص الثالث هو "الرئيس" فجعل يتفرس فيه في عناية واهتمام . وكانت سحنة الرجل جامدة لا تنم عن شيء . ولكن "لوبين" الخبير بالطباع وبالناس أدرك أنه إزاء رجل جبار عنيد لا يحجم عن شيء .. كما استدل من انفه الأقنى المعقوف الذي يشبه منقار النسر على انه رجل جشع يعبد المال .

وفجاة رفع الرجل يده فإذا فيها مصباح كهربائي انبعث منه ضوء ساطع اخذ الرجل يوجهه هنا وهناك على سطح الماء ، ثم استقر الضوء على وجه "لوبين" .

وكان "لوبين" يعرف ان وجهه قطعة من حجر لا يمكن ان يقرأ فيها اذكى الناس شيئا .

وحول صاحب المصباح ضوءه إلى ناحية اخرى . وتكلم "لوبين" قائلا في هدوء وغير اكتراث :

- افقدت شيئا ؟

ارتد إليه الضوء ثانية ، وتكلم الرجل في صوت واضح النبرات خال من الشعور قائلا : ليس تماما .. ارايت شخصا يسبح في هذه الناحية ؟

فتمتم "لوبين" وهو يضحك قائلا :

- لم ار إلا السمك بالتاكيد .. إلا إذا كنت تبحث عن احد عابري المانش.. ولكن هؤلاء السباحين يتجهون عادة إلى ناحية كاليه .

ساد صمت قصير قبل ان يضحك الرجل . ولكن لم يغب عن "لوبين" ان ضحكته كانت جوفاء مفتعلة .. كانت مجرد مماشاة للظروف ومحاولة للتخلص من موقف تحفه علامات التعجب والاستفهام .

- كلا .. بل إني ابحث عن رجل من جماعتنا قبل رهانا سخيفا.. واعتقد انه لابد ان يكون قد عاد إلى اليخت .

وعند هذا ادرك "لوبين" ان المغامرة قد جاءت تسعى حتى بابه .. رهان مصحوب بصرخات استنجاد وبدوي رصاصة ! إنه إذن يكون اعجب رهان في الدنيا .. وما قال صاحب الانف المعقوف ذلك إلا ليضلل "لوبين" ويصرف ذهنه عن الحقيقة .

وخطر له فجاة أن من المحتمل أن الفتاة لصة من لصوص السفن ارادت أن تتسلل إلى اليخت فشعر بها من فيه واطلقوا عليها النار . ولكنه استبعد هذا الخاطر على الفور .. فلو أن الامر كان كذلك لما كان هناك ما يدعو ذا الانف المعقوف إلى كتمان الحقيقة .

ولما ابتعد القارب فتح "لوبين" باب غرفة القيادة واوما إلى الفتاة باصبعه دون أن يتكلم فتبعته إلى قاعة الاستقبال في سكون .

الفصل الثاني

خلعت الفتاة قلنسوة السباحة فتهدل شعرها على كتفيها كستنائيا خلابا . وكانت شفتاها لا تزالان حمراوين مغريتين على الرغم مما اعتراهما من اثر الماء وبرودته . اما قوامها في ثوب الاستحمام الذي تلبسه فكان فتاناً يصح ان يتخذ منه احد الفنانين الموهوبيَن نموذجاً كاملا .

على ان الشيء الذي راق "لوبين" منها هو ذلك البريق الذي ينبعث من عينيها وينم عن المكر والخبث .

– وقال "لوبين" في برود :

– إن الماء بارد الليلة . اليس كذلك ؟

– قليلا .

فتح "لوبين" احد الأدراج واخرج عددا من المناشف وضعها على الأريكة مع برنس حمام ثم قال يخاطبها :

– اتفضلين قهوة ساخنة أم قدحا من الشراب ؟

فابرقت عيناها في مكر ودهاء ثم مالبثت أن استردت سكونها وقالت :

– شكرا لك .. إني أوثر أن اعود . لأقبض قيمة الرهان . إني مدينة لك بالشكر لأنك .. لأنك فهمت سريعا .. وساعدتني .

ومدت إليه يدها لتصافحه مودعة وعلى شفتيها ابتسامة ساحرة ادارت راس "لوبين" وجعلته يحلم بضع لحظات .. ثم قال لها :

– آه .. نعم .

وتناول اليد الممدودة إليه .. ولكنه لم يدعها على الفور كما تقضي بذلك أصول المصافحة . وإنما وضع قدمه على طرف الأريكة واسند مرفقه إلى ركبته والتمع في عينيه الزرقاوين بريق يدل على المرح والابتهاج وقال :

– بالتاكيد .. لقد سمعت كلاماً عن رهان .

– وصدقني إنه كان رهانا سخيفا .

وسحبت يدها من يده واسترسلت قائلة :

– كنا نتحدث عن سهولة الفرار في الظلام لا سيما إذا ساد الضباب

البحر . ولست أدري كيف قلت إن في وسعي ان اسبح إلى (دينار) واعود دون ان يهتدوا إلي في اثناء السباحة ، فتراهنا على ذلك ولكنهم لسوء حظي كادوا يعثرون علي عندما تعلقت بيختك فانتشلتني انت ولست أدري إذا كان الصعود إلى اليخت ضمن شروط الرهان ام لا .

– وإطلاق الرصاص ؟.

فقطبت جبينها هنيهة ثم قالت :

– كان هذا جزءاً من الرهان زيادة في إتقان الناحية التمثيلية منه إذ كان المفترض اني حضرت إلى السفينة بغية السرقة .

– وصراخ الاستنجاد ؟.

– كان ايضا جزءاً من المهزلة .. الواقع اني اظن اننا كنا سخفاء في القيام بهذه المراهنة وفي وضع شروطها بهذا الشكل .

– ابتسم "لوبين" واشعل سيجارة ثم قال :

– إني انا نفسي احب هذه المراهنات السخيفة فهي تساعد على تمضية السهرات الطويلة .. ولكن من الذي اطلق النار ؟.

– الرجل الذي تحدث إليك من القارب .

– واظنه لم يطلق النار على نفسه خطا !. اما صرخة الاستنجاد فكانت ذات رنة حقيقية فدعيني اهنئك على براعة التمثيل !.

وكان صوته عاديا لا ينم عن شيء فلم تدر الفتاة إذا كان يتكلم جاداً ام مازحاً .. وهل صدق روايتها ام انكرها ؟.

ووضع "لوبين" سيجارته بين شفتيه ومد يده إلى ناحية الفتاة وهو يقول :

– وبالمناسبة .. ما هذا الكيس الجميل ؟.

إذ كان هناك كيس من المطاط معلق بمنطقة الفتاة ... ولمست يده الكيس قبل ان تتمكن الفتاة من التراجع .

وقالت في صوت هادئ :

– إنه كيس من ذلك الذي لا ينفذ منه الماء وهو يستعمل لحفظ السجائر في اثناء السباحة .. الم تره من قبل ؟.

– كلا .

وانزل قدمه من فوق الأريكة وتقدم إليها وهو يقول :

- اتسمحين بان القي عليه نظرة ؟.
كان "لوبين" يتكلم في لهجة مهذبة تدل على التادب . ولكن الفتاة ارتدت إلى الوراء في حركة مبتعدة عنه وقالت :
- اظن .. اظن انه يجب ان اعود .. لا شك ان القلق قد استولى عليهم الآن لغيبتي .
فحنى "لوبين" راسه وقال :
- هذا صحيح .. لقد كدت انسى انهم في انتظارك . ولكن ينبغي الا تعودي سابحة في مثل هذا الضباب وإلا تعرضت لخطر جسيم .. ومن المحتمل ان تضلي عن يختك .. وليس من الحكمة ان تدوري في الماء في الظلام .. فدعيني ارجع بك إليهم .
- لا داعي لان تحمل نفسك هذه المشقة .. إن الماء في الواقع ليس بارداً .. والسباحة في الظلام تروق لي .
- اما إرجاعك إلى اليخت في قاربي فيطيب لي .! فدعيني اقم بهذه المهمة واعلمي انه ليست فيها اية مشقة .
وحاول ان يتقدمها إلى الباب ولكنها اعترضته بقولها :
- ارجوك ان تبقى فإن الرهان ليس ...
فقاطعها بقوله :
- تباً للرهان يا عزيزتي ! إنك اجمل وانضر شبابا من ان ادعك إلى رحمة الامواج !. وفضلا عن هذا فقد خرقت قواعد الرهان بصعودك إلى يختي .. سأحملك إلى يختك في قاربي .
- لن اذهب معك فارجوك الا تعقد الامر بتدخلك .
- بل إنك لن تذهبي إلا معي .
فعضت الفتاة شفتيها وقالت في تردد :
- هذا تلطف منك .. ولكني لا اريد ان اجشمك اية مشقة . ولهذا لن اذهب .
فقال "لوبين" في ابتهاج :
- في هذه الحالة ينبغي ان تستعملي هذه المناشف وان تجيبي عن سؤالي بخصوص القهوة او الشراب .. إني اعرف بالتاكيد ان الامر قد يكون مريبا مثيرا للشكوك .. ولكني لا ابالي فإني لست بالرجل الضيق

الذهن وإذا كان هذا اللقاء بدء رواية غرامية فدعيني أستهلها بان أقول : إن فمك أجمل فم رأيته .
فصاحت الفتاة قائلة :
- كلا .. كلا ..! إني لن أدعك تعود بي إليهم ..!
- هل افهم من هذا انك انتويت البقاء ..؟ هذا هو ما كنت ابغيه.. وما دمنا نتحدث في الأمر فدعيني أسالك عما إذا كنت تجهلين أن ظهور فتاة بساقين كساقيك جريمة يعاقب عليها القانون ..؟ إن هذه السيقان تبث في الذهن أخبث الخواطر .. وليس من الإنصاف ..
- أرجوك .!
ونطقت بهذه الكلمة في نبرة بدا يسري إليها الغضب وقالت مسترسلة :
- كان جميلا منك أن تساعدني فلا تفسد ما فعلت بما تقول .
واخذ "لوبين" نفسا طويلا من سيجارته ولم يقل شيئا . ولكنه جعل يتفرس فيها ويدير عينيه في قوامها النضر الرشيق .
ومشت الفتاة إلى الباب محاولة أن تخرج . وبسط "لوبين" ذراعيه محاولا أن يردها إلى الوراء .. ولكنها دفعته في صدره بكل قوتها فتلقى لكماتها بضحكة هازئة ولبث في مكانه جامدا كأنه تمثال من الحجر .
وعلى حين فجاة أدركت الفتاة أن يده امتدت في أثناء النضال إلى الكيس المعلق في منطقتها فعبثت فيه وجاست خلال محتوياته.
وتراجعت الفتاة إلى الخلف مسرعة وحملقت إلى وجهه فتمتم "لوبين" يقول :
- كنت أظنه مغلقا .. وسجائرك من نوع عجيب .
تسارعت أنفاس الفتاة وقالت :
- لست أدري عم تتحدث .. دعني أخرج .
- كلا .
فنظرت إليه وقد التمعت عيناها وقالت في كلمات بطيئة :
- اتعرف ما يمكن أن يحدث لو أني صرخت ..؟
- نعم .. أعرف أني ساسمع صرخة موسيقية بديعة لم أسمع لها مثيلا من قبل .. ولكني أفضل أن أسمع حديثك العادي بدلا عن صراخك.

- لو أني صرخت لجمعت عليك نصف من في الميناء من الناس. فحنى راسه قائلا :

- يظهر أنها ستكون ليلة حافلة بالصراخ .

- دعني أخرج حالا وإلا ..

نفث "لوبين" الدخان من فمه وقال :

- اسمعي يا أختي .. أتعرفين ما يمكن أن يحدث لو أني صرخت ..؟

- ماذا تقول ..؟

فقال مجيبا :

- إن هذا ليس قاربك فيما أظن . ولو أني أنا الذي قطعت البحر سباحة وصعدت إلى قاربك في مثل هذه الساعة فرأيتك مرتدية البيجاما لكان في وسعك أن تهدديني بالاستنجاد . ولكن النقيض هو ما حدث :

هذا القارب ملك لي . وأنت التي قطعت البحر سباحة وصعدت إلى قاربي .. فماذا يكون موقفك إذا كنت أنا الذي ساصرخ مستنجدا .؟ لا يمكنك بالتاكيد أن تزعمي أني خطفتك إذ قد يخطر لأحد الأغبياء أن يسالك عن السبب الذي دعاك إلى عدم الاستنجاد عندما خطفتك من يختك وانتظرت حتى هذا الوقت .. وفضلا عن هذا فانت تلبسين بذلة استحمام وهي مبتلة والماء لا يزال يقطر منها .. وليس معقولا أني اختطفتك من قاع البحر .. فالتفسير الوحيد هو أنك أنت التي دعوت نفسك إلى قاربي .. ونحن الآن في منتصف الساعة الرابعة بعد نصف الليل ولهذا قد يسالك غبي آخر عن السبب الذي دعاك إلى الانتظار إلى قبيل الفجر دون أن تفكري في الاستنجاد إذا كانت زيارتك بريئة وإذا كنت قد حاولت الاعتداء عليك .. اسمعي يا صديقتي .. نحن الآن في ميناء فرنسي . وولاة الأمور الفرنسيون يفهمون حقائق الحياة حق الفهم؛ فإذا صرخت مستنجدة فسيغضون البصر عن استنجادك وسينصحونني بان أقدم إليك بعض الهدايا ..! إني أيتها العزيزة رجل وديع مسالم .. ولكن إذا حاولت أن تعتدي علي فساصرخ مستنجدا واجمع عليك نصف من في الميناء من الناس..!

فنظرت إليه الفتاة في برود وقالت :

- ما كنت اتوقع ان القى رجلا من طرازك .

- ولم لا يا عزيزتي ؟ والآن دعي الحوار جانبا ودعينا نتحدث قليلا في هدوء .. إني اريد ان اعرف سر هذه اللعبة اللذيذة التي تبدأ بإطلاق النار في جوف الليل وإرغامك على السباحة في مثل هذا الضباب .. أريد أن أعرف السبب الذي يجعلك انت وذا الأنف المعقوف تتعلقان بحكاية هذا الرهان ؟ واي رهان هذا الذي من شروطه أن تسبحي وفي منطقتك جراب وفي الجراب مسدس محشو !

ومدت الفتاة يدها على عجل إلى الكيس المعلق في منطقتها فاخرجت منه مسدسا صوبته إلى "لوبين" وهي تقول :

- اصبت ! إني احمل مسدسا في هذا الجراب ! إننا يا عزيزي في ميناء فرنسي . وولاة الأمور الفرنسيون يفهمون حقائق الحياة حق الفهم كما تقول انت . فالمحلفون في فرنسا يعرفون انه قد تكون لدى المراة أسباب قوية تحملها على قتل عشيقها مما يجعلهم يقررون براءتها فهل لا تزال بعد هذا مصرا على عدم السماح لي بالخروج ؟

فنظر إليها "لوبين" باسما وقال :

- ولكن العادة جرت بأن تقضي المراة الليل مع عشيقها ثم تقتله في الصباح . فهلا ارجات اغتيالي حتى الصباح ؟ فإنك إن فعلت وجدتني راضيا مبتهجا .

ودهشت المراة لجسارته . واختلجت عيناها .. وقرا "لوبين" في هذه الاختلاجة معنى الإعجاب والتقدير .

وتكلمت الفتاة قائلة :

- للمرة الأخيرة ..

- هل أسمح لك بالانصراف ؟

- نعم .

- لا .

- إني آسفة .

فقال "لوبين" في هدوء :

- وانا ايضا ..

- لا تحسبني هازلة .. إني اعني ما اقول .. وإياك ان تعتقد اني اهاب

إطلاق النار فإني على استعداد لمجابهة جميع الظروف والحوادث .. والآن دعني أخرج . ساعد خمسة فعليك أن تتنحى عن الباب .

- ليتك تعدين حتى العشرة . فإني أحب صوتك الجميل .. ولكن ما دمت مصرة على الخروج فلا داعي لإرغامك على البقاء .

تنحى "لوبين" عن الباب وتراجع إلى الوراء مستندا إلى الجدار. وفي سرعة البرق امتدت يده اليسرى إلى زر النور الكهربائي فضغطته وساد القاعة ظلام رهيب ! وفي اللحظة التالية وقد بدات عيناه تالفان الظلام وثب "لوبين" إلى ناحية الفتاة فامسك برسغها ولوى ذراعها إلى الخلف وانتزع المسدس من يدها وهو يقول :

- إني آسف يا صغيرتي .

وفي هذا النضال فقدت الفتاة توازنها فسقطت على الاريكة و"لوبين" إلى جوارها .

شعر براسها إلى جوار راسه . واحس ان شفتيها قريبتان من شفتيه. ولم يشا "لوبين" ان يدع هذه الفرصة تفلت منه فاطبق على فمها يقبلها .

وارادت الفتاة ان تنحيه عن صدرها .. فدفعته في أول مرة بقوة شديدة .. وفي المرة الثانية كانت دفعتها اقل عنفا .. اما في المرة الثالثة فلم تكن هناك دفعة على الإطلاق !

بل كانت هناك استجابة للقبلة وبعد لحظات نهض "لوبين" واضاء النور!

الفصل الثالث

استهلت الفتاة حديثها بقولها :

- إنني ادعى "جوان بارلو" .

وكانت جالسة على الأريكة مرتدية البرنس وأمامها قدح من القهوة الساخنة وبين اصبعيها سيجارة من نوع فاخر .

وقال "لوبين" :

- اسم ظريف !

- وما اسمك أنت ؟

- إن لي عشرات من الأسماء واشهرها هو "لوبين" .. "ارسين لوبين" .

فنظرت إليه الفتاة في اهتمام جديد وقالت :

- لقد قرات عنك كثيرا .. ولكني لم اكن أتصور اني سالتقي بك يوماً .

فابتسم وقال :

- وهل أعجبتك ؟. أعني هل نجحت في الامتحان ؟.

فضحكت وقالت :

- اظن ذلك ، فاكتشافك سر الإبرة المجوفة يدل على عبقرية نادرة وإماطتك اللثام عن سر الرقم "٨١٣" ما كان ليمكن أن يوفق إليه سواك ، وحوادثك الأخرى تدل كلها على ذكاء ونبوغ .. نضالك مع "شرلوك هولمز" ، واتصالك باعوانك وانت في داخل السجن ومصادماتك مع المفتش "بيشو" والمفتش "جانيمار" ومكتب "بارنيت" وشركاه الرجل الطيب الذي يقوم بالابحاث البوليسية مجانا لا يبغي جزاءً ولا شكورا .

فقاطعها "لوبين" ضاحكا بقوله :

- إنك تعرفين عني يا "جوان" الشيء الكثير .

- هذا بالتاكيد لاني .. لاني أعمل بوليسا سريا .

ولبث "لوبين" جامد الوجه كانما لم يسمع قولها .. ونفث الدخان من فمه . ووضع السيجارة في المنفضة . وبسط إليها يديه . وقد ضم رسغيه أحدهما إلى الآخر وقال :

- ضعي السوار في معصمي .! لقد أبيت على "جانيمار" و"بيشو"

و"هولمز" أن يقبضوا علي ولكني اقدم إليك نفسي طائعا مختارا مع اعتراف صريح بخطي بكل ما ارتكبت في حياتي من أعمال الخير .

وتفرست فيه الفتاة برهة ثم التمعت عيناها وقالت :

- إني أعرف انك صادق فيما تقول .. نعم لابد ان تكون انت "ارسين لوبين" .. إن "ارسين لوبين" لا يمكن ان يكون إلا شخصا من طرازك ولكن لم لم تنبئني باسمك من اول الأمر ؟.

- لأنك لم تساليني .. فضلا عن ان التواضع من شيمتي .: فإني كما ترين شاب طيب شديد الحياء كالعذراء ؟.

- اسمع !.

فنظر إليها "لوبين" مستفسراً ، فقالت في لهجة تدل على الاهتمام :

- إنك سرقت .. اليس كذلك ؟

- هكذا يقولون .!

- وعملت اعمالا عظيمة ؟.

- إني ارفع الفيل بيد واحدة .. والوي عنقه بيدي الأخرى .

- الم تفكر يوماً في أن تسرق ملايين الجنيهات .؟

- بل فكرت دائما .. لقد خطر لي ان اسرق بنك إنجلترا ولكني عدلت عن الأمر لسهولته .

فنظرت إليه الفتاة في انفعال وقالت :

"لوبين" .! في هذه الأيام يوجد عمل يدر الملايين من الجنيهات المسروقة .. وقد نشا هذا العمل منذ سنوات ولا يزال مستمرا حتى اليوم . ولست أقصد بذلك تهريب الشراب أو اختطاف الأطفال . إنه عمل يشمل الدنيا باسرها . ويقع حيث تكون هناك المادة اللازمة لوقوعه . وعند الإقدام عليه لا تجد امامك شرطيا واحدا يرفع في وجهك يدا .. إنها سرقات ترتكب حيث تستحيل الحماية والمقاومة . وليس في وسعي أن اذكر لك على وجه التاكيد كم من ملايين الجنيهات سرقت بهذه الطريقة .. ولكن حسبك ان تعلم ان ما سرق قد يبلغ عشرات الملايين .

فقال "لوبين" في صوت رقيق :

- إني أعلم هذا يا عزيزتي .. ولكنها سرقات مشروعة ترتكب في

حماية القانون وباسمه .. إنك تقصدين ضريبة الدخل بالتأكيد!

فلم تبال الفتاة بمزاحه وقالت مسترسلة :

- الم تسمع عن الباخرة لوتين ؟

- التي غرقت ..؟ اليس كذلك ؟

- بلى .. غرقت في سنة ١٨٩٩ وفي مخازنها سبائك ذهبية قيمتها مليون جنيه . وقد بذلت محاولات كثيرة لانتشال شحنتها فاخفقت لانها انغرزت في الرمال إلى مسافة كبيرة . وهنا خطرت للشركة التي تتبعها الباخرة فكرة جديدة هي أن ينزلوا إلى قاع البحر مخروطا هائلا من الفولاذ يضعونه فوق حطام الباخرة بحيث تكون في داخله ثم يزيحون الرمال المحيطة بالباخرة والمكدسة فوقها ويخرجونها من فوهة المخروط .. فإذا ما خلصت الباخرة مما حولها من الرمال أمكن انتشالها بسهولة . والفكرة كما ترى سهلة وناجحة غير ان الشركة تلقت بضعة خطابات تهديدية تنذرها الا تمضي في العمل ولكنها بالتاكيد لم تقم لهذا التهديد وزنا .

- وبعد ذلك ؟

- شرعت الشركة في عملها . ولكنها اضطرت إلى التوقف لأن المخروط الفولاذي نسف فجأة في سنة ١٩٠٨ . ولم يكن نسفه قضاء وقدرا .

واعتدل "لوبين" في جلسته فكانت حركته هذه دليلا على انه بدأ يهتم بالأمر .

- وهل هذا كل شيء ؟

- لا .. ففي سنة ١٨٩٠ غرقت الباخرة "مريدا" وعليها شحنة من الماس تزيد قيمتها على مليون جنيه .

واخذت الفتاة تذكر لـ"لوبين" أسماء البواخر التي غرقت وعليها شحنة ضخمة من الذهب او الجواهر . ثم أردفت قائلة :

- وحدثت محاولات كثيرة لانتشال هذه البواخر فاخفق أغلبها ونجح بعضها . ولكن الشيء الغريب أن الغواصين كانوا إذا وصلوا إلى حطام الباخرة في قاع المحيط وجدوا مخازنها الفولاذية خاوية على عروشها وقد اختفى منها الذهب .. فما الذي تستنتجه من هذا ؟

فابتسم "لوبين" وقال :
- إنك تعلمين اني محدود الذكاء . ولكن على قدر ذكائي أستطيع أن استنتج ان لصوص البحار يغتنمون فرصة غرق الباخرة المحملة بالذهب فيخفون سراعا إلى مكان غرقها ويدلون الغواصين وينتشلون الذهب لحسابهم الخاص .
- تماما .. فإذا ما جاءت الشركة صاحبة الباخرة الغريقة أو الشركة التي امنت على الذهب لم تجد ما يستحق ان ينتشل .
ومضت الفتاة تسرد عليه انباء بعض المحاولات التي نجحت من حيث الوصول إلى الباخرة في قاع المحيط واخفقت من حيث عدم العثور على الذهب .
وقال "لوبين" :
- وهل مهمتك بصفتك تعملين بوليساً سرياً ان تكتشفي هؤلاء اللصوص؟
- نعم .. إني اعمل لحساب شركة انجربيك الأمريكية المتعاقدة مع شركة لويدز الشهيرة ومع بضع شركات اخرى من شركات التامين الكبيرة . إن الرقابة معدومة حيث تغرق البواخر .. ولكن الانتشال حق من حقوق شركات التامين ما دامت قد دفعت الخسارة ، ولكنه حق لاقيمة له إذ إن شركات التامين في خلال الخمسين سنة الماضية دفعت الملايين من الجنيهات على حين أن ما استردته من الأموال المنتشلة لا يكاد يتجاوز عشرات الألوف .
- إذن فالخسارة محتومة .؟
- بالتاكيد .. إلا إذا قضينا على تلك العصابة التي تنتشل الأموال سراً . إن لصوص البحار لا يستطيعون أن يقوموا بهذه العملية الضخمة متفرقين إذ إنها تستنفد جهداً ومالا وذكاء .. فلابد أن تضمهم عصابة منظمة يراسها رجل قوي مفكر يستطيع بذكائه وأمواله أن يشتري الآلات اللازمة ويضع الخطط الناجحة .. ولهذا شرعنا نبحث عن هذه العصابة .
- أنت ؟.
- كلا .. ولكن شركة انجربيك .. إنها تسعى إلى هذه الغاية منذ

خمسة اعوام . وفي خلال هذه المطاردة قتل ثلاثة من رجالها ولكن الأخير منهم كان قد استطاع ان يهتدي إلى اثر مهم فتبعناه .

- إلى هنا ؟.

فحنت راسها مؤمنة وقالت :

- ولكن واجهتنا اخيراً عقبة لابد من تخطيها . وذلك ان الاقتراب من زعيم العصابة امر قد يشق على الرجال لا سيما ونحن نعمل بصفة غير رسمية فليس لدينا سلطة قانونية تخولنا حق المهاجمة والتفتيش .. ولكن هناك طريقة اخرى يمكن الالتجاء إليها في مثل هذه الظروف .. قلت لك إنه لابد ان تكون هناك عصابة ، وان يكون على راس هذه العصابة رجل .. ومن المؤكد ان لهذا الرجل قلبا .!

وابتسم "لوبين" وقال :

- فانتدبتك الشركة لأن لك قلبا انت ايضا .! فإذا ما التقى القلبان سهلت المهمة واميط اللثام عن سر العصابة . !

فحنت الفتاة راسها وقالت :

- ولقد نجحت .. ولكن إلى حد ما .. امكنني ان اتعرف بزعيم العصابة . وقد دعاني إلى العشاء ورقصت معه في الكازينو .. ولكن الشيء الذي لم ابلغه منه بعد هو انه لم يدعني إلى زيارة يخته ولقد خطر لي الليلة ان اجازف واحاول الصعود إلى اليخت خلسة فكان ما تعرف . لقد فاجاني في الظلام وامسك بي . ولولا اني اطلقت رصاصة مرت إلى جانب اذنه لما تخلى عني ولما امكنني ان افلت منه واثب إلى الماء هاربة !

فتمتم "لوبين" يقول :

- يا لها من حكاية مدهشة ! .

الفصل الرابع

دنا "لوبين" من إحدى كوات اليخت وأرسل بصره إلى البحر برهة ثم ارتد إلى الفتاة قائلا وقد ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيه :

- اقصصت علي كل هذا بغية قطع الوقت ؟.

فاجابته وهي تتفرس في عينيه :

- حدثتك بهذا لانك انت من انت !. إني مجردة من السلطة ولكني قابلتك وانا اعرف من انت . لقد خطر لي أن الأمر قد يهمك بطريقة ما .

- يجوز .. اين تقيمين ؟.

- أوتيل دي لامير .

- كنت اتمنى ان تقيمي الليلة في يختي على ان تعودي إلى فندقك في الصباح . ولكني اخشى ان يخالج الشك صديقك فيستريب في كلماتي ويعود الليلة أو في الصباح الباكر ليستوثق من اني لم اخدعه وانك لم تصعدي إلى يختي . ولهذا ساذهب بك الآن إلى فندقك إلا إذا اردت ان تجادلي حتى في هذا .

فضحكت وقالت :

- لن أجادل .. وإني شاكرة لك القهوة .. وكل شيء .

- ولكن هناك شيئين لم تذكريهما لي : أولهما اسم اليخت الذي اردت أن تتسللي إليه .

- بلومبرج .

- واسم الرجل ذي الأنف المعقوف .

- "فون بوهيم" .

- حسناً .. إني احب هذا الاسم وأحب أن يكون لي معه مواقف خالدة يذكرها التاريخ .. لا اظن ان في نيتك ان تقضي سحابة نهارك غداً محبوسة في غرفتك .. فإذا نزلت إلى الشاطىء قبل الغداء امكنني ان أراك هناك .

واركبها "لوبين" قاربا صغيرا من القوارب الملحقة بيخته ومضى بها إلى الشاطئ ثم ارتد وحده إلى اليخت يشق طريقه خلال الضباب الذي كان لا يزال ناشراً جناحيه على الأرض .

ولما استيقظ في الصباح كان لا يزال هناك على السجادة أثر الماء الذي تقاطر من ثوبها عقب انتشالها من البحر .

وكانت تجلس هنا .. على هذا المقعد .. وشعرها الكستنائي متهدل على جبينها .. وفي عينيها نظرات الخبث والمكر .. وبين شفتيها سيجارة يتوهج طرفها كلما جذبت منها نفساً .. وشفتاها الحمراوان تغريان بالتقبيل .

وانتبه "لوبين" من خواطره على صوت خادمه وهو يقول :

- طاب صباحك يا سيدي .

فقال "لوبين" في صوت حالم :

- طاب صباحك يا حبيبتي .

فسعل "بيير" مرتين وقال :

- إنني "بيير" يا سيدي .

- هذا شيء يؤسف له .

ثم احتسى قدح عصير البرتقال الذي حمله إليه خادمه . ثم صعد إلى ظهر اليخت ومعه نظارة مكبرة أرسل بصره من خلالها إلى اليخت بلومبرج الذي حدثته عنه الفتاة فاستطاع أن يقرأ الاسم المنقوش على جداره الخارجي .. ولبث ينظر إليه طويلا وقد استغرقه التفكير .. إذن ففي هذا اليخت رجل يدعى "فون بوهيم" يتولى السطو على المراكب الغارقة فيسلب ما فيها من الذهب أو الجواهر . ورأى على ظهر ذلك اليخت شيئا مرتفعا ضخما مغطى بالقماش فأخذ يسأل نفسه عما يكون دون أن يدري لسؤاله جوابا .

ولما رجع "لوبين" إلى قاعة الاستقبال قال يخاطب خادمه :

- اسمع يا "بيير" .. ألا يزال لديك ذلك المدفع الصغير الذي اشتريته باسم مسدس ؟

- بلى يا سيدي .

- حسنا .. أرجوك أن تعده وتهيئه للاستعمال ... وضع شيئا من الشحم على الرصاص فقد نضطر إلى الاستحمام في البحر والرصاص معنا .

وساد صمت قصير قطعه "بيير" بقوله :

- أبدأت المتاعب ثانية ؟

- ليست هناك متاعب يا "بيير" ولكنها تسلية ظريفة .. وليس في وسعي أن أصف لك مبلغ جمالها لأنك رجل بلا قلب .. ولكن يكفي أن أقول لك إنها خرجت من البحر كما تخرج الحوريات : موفورة الجمال .. نضرة الصبا .. متهدلة الشعر .. ووقفت فوق هذه السجادة والماء يقطر من جسمها كأنها نافورة جميلة وقالت لي : "دعني أخرج " فقلت لها "كلا" .. نعم .. هذا هو ما حدث بالضبط يا "بيير" .. فصوبت إلي مسدسها ..

فقال "بيير" مقاطعا :

- استمر يا سيدي فالحكاية طريفة .

- قلت لك : إنها صوبت إلي مسدسها وهددتني بإطلاق النار إذا أنا اعترضت خروجها فقابلت تهديدها بالضحك هكذا : "ها .. ها.. ها" وكانت ضحكة رهيبة قاسية . ومددت يدي فاطفأت النور على الفور ونزعت المسدس من يدها فاختل توازننا وسقطنا على الأريكة .. وبعد ذلك .

فقال "بيير" مقاطعا :

- لا ضرورة يا سيدي لأن تقص علي ما حدث بعد ذلك فإني أعرفه .

- حقاً ..!

- ويمكنني أن أقول : إن قبلاتها كانت لذيذة .. أليس كذلك يا سيدي ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- إنك أذكى مخلوق في الأرض .

- إنها ليست مسألة ذكاء يا سيدي .. ولكنها مسألة قوة ذاكرة وقياس على الحوادث السابقة المماثلة !

وضحك "لوبين" ثم قال :

- قد يدعونا الأمر يا "بيير" إلى الخروج في نزهة طويلة مع رجل من أصدقائي الأعزاء يدعى "فون بوهيم" . فأرجوك أن تتخذ العدة لمثل هذه الرحلة بتزويدنا بكميات كبيرة من المؤونة والوقود .

ارتدى "لوبين" ثياب الاستحمام وقذف بنفسه إلى البحر وأخذ يسبح متجها إلى الشاطىء فصعد إليه وأخذ يتمشى على الشاطىء على مقربة

من الكازينو وهو يفكر فيما قصته عليه "جوان بارلو" .. اتراها صادقة فيما قالت ؟ أم كاذبة مضللة ؟ قد يكون ما روته له من نسج الخيال ووحيه . ومن المحتمل ان "فون بوهيم" بريء من التهمة التي الصقتها به ولكن مهما يكن من الأمر فهناك لغز ينبغي جلاؤه وإلا لما كان الفرار سباحة في جوف الظلام .. ولما كان إطلاق النار .. وما كانت تلك الأكذوبة التي ساقها إليها "فون بوهيم" حين زعم أن المسالة تتعلق برهان وأنهم يبحثون عن رجل ، على حين أن "لوبين" كان يعرف انهم يبحثون عن امراة .

فهناك لغز إذن .. وسواء أكان متعلقا بالسطو على البواخر الغارقة أم غير متعلق بها فالأمر يحتاج إلى العناية والاهتمام .

وعلى حين فجأة رأى "جوان بارلو" مقبلة عليه فتبادلا التحية وقال لها :

– انمت جيدا ..؟

– نعم .. وأنت . ؟

– لقد رأيت في احلامي شبح جدي وقد خرج من جهنم وأوما إلي باصبعه قائلا : " إنك لست أهلا لهذه الفتاة وغير جدير بها" فاستيقظت من النوم وانفجرت أبكي !

فوضعت الفتاة يدها في رفق على ذراعه وقالت :

– الا من رجاء لك ؟

– لا رجاء إلا إذا ابتسمت في وجهي .

فابتسمت "جوان" بنفس الابتسامة التي سحرته بالأمس فقال لها :

– الآن يمكنني أن أموت سعيدا .

وبعد صمت قصير قالت الفتاة :

– ليت شعري لماذا لم يضمك "انجريك" إلى رجاله منذ سنوات؟

– إني يا عزيزتي لا احب أن أشتغل لحساب أحد . فلو انهم عرضوا الأمر علي لاعتذرت . وفضلا عن هذا فإني كما تعلمين لست بالرجل الشريف .. إن مهمتك تقضي عليك باسترداد المسروقات لردها إلى شركات التامين اليس كذلك ؟

– بلى .

- وكذلك شاني انا ايضا . فإني استرد المسروقات مثلك ولكن مع فرق واحد وهو اني اردها إلى نفسي لا إلى شركات التامين .
- ولكن الشركات على استعداد لأن تمنحك عشرة في المائة من قيمة المسروقات المردودة .

فضحك وقال :

- وانا ايضا على استعداد لأن أعطي الشركات عشرة في المائة.
- ولكن المبلغ سيصبح جسيما لأن قيمة المسروقات لن تقل عن بضعة ملايين .

فتنهد في أسى قائلا :

- إن الأمانة يا عزيزتي شيء يدعو إلى الضجر والسامة .. ولكنني على استعداد لأن أروض نفسي على الصبر والاحتمال ما دمت لن تضني علي بابتسامتك الحلوة .. فهذه الابتسامة عندي تساوي بضعة ملايين .

فابتسمت له وقالت :

- يظهر اننا بدأنا حيث كان يجب أن ننتهي .

فامسك بيدها وهو يقول :

- ليس للحب نهاية أو بداية .

ثم ترك يدها على عجل قائلا :

- ولكن لندع هذا الآن فليس هذا أوانه .. حدثيني قليلا عن صاحبك "فون بوهيم" .
- لقد انباتك بالامس اني كنت اتمنى ان ازور يخته لأقف على سره .. وكنت ضعيفة الرجاء في هذا ولكن يظهر اني غاليت كثيرا.
- ماذا تعنين ؟
- اعني اني تلقيت في هذا الصباح دعوة من "فون بوهيم" لاتناول معه العشاء الليلة على يخته بلومبرج .

الفصل الخامس

عندما سمع "لوبين" ان الفتاة دعيت إلى زيارة اليخت بان على وجهه الاهتمام .. وذكر انه شاهد في هذا الصباح قاربا بخاريا مشدودا إلى جانب اليخت عندما نزل للاستحمام ولم يكن موجودا حين فحص "لوبين" اليخت بمنظاره للمرة الأولى .

والتفت إليها قائلا :

– ولكنك لا تنوين ان تلبي هذه الدعوة ؟

– بل تلك هي الفرصة التي كنت انشدها .

– أعرف ذلك . ولكن ما حدث في الليلة الماضية كفيل بان يحملك على العدول .

– لا اظنهم عرفوا شخصيتي .. وانا نفسي لم ار الرجل الذي هاجمني إذ فاجاني من الخلف وكان الظلام حالكا فاطلقت رصاصة من مسدسي ارغمته على تركي ووثبت إلى البحر .

– ولكنه عرف انك امراة .

– ليس هذا ضروريا .. الا تذكر ان "فون بوهيم" ذكر لك انه يبحث عن رجل ؟

– اكذوبة مقصودة .

– إنها إذن اكذوبة تدل على الغباوة .. ولن يجني من ورائها إلا إثارة الشكوك إذا كنت قد رايت ان الشخص السابح امراة ليس رجلا وإذا فرض انك لم تر هذا الشخص فما فائدة مثل هذه الكذبة ؟ لا شك انه كان يعتقد حقيقة ان المتسلل إلى اليخت رجل. ومهما يكن من الامر فإنك فيما أعرف تسعى إلى المتاعب والمغامرات .. اليس كذلك ؟

– تلك هي مهنتي . ولكن لنفرض ان كلامي لم يعجب "بوهيم" وانه استغرب ان يجدني واقفا على ظهر اليخت في منتصف الساعة الرابعة بعد نصف الليل فثارت شكوكه ورجعت ثانية إلى يختي في حرص وحذر .. ومن المحتمل انه لم يرك .. ومن المحتمل انه لم يسمع صوتك . ولكن من المؤكد انه سيعرف ان في اليخت فتاة .

فابتسمت الفتاة وقالت :

- وهل من الضروري أن تكون هذه الفتاة هي أنا ؟

- ليس ضروريا بالتاكيد . ولكن "بوهيم" سيعتقد على الفور انك انت وسيذكر توددك إليه وكيف انك اظهرت ولها بانفه المعقوف الجميل وقد توقظ هذه الخواطر ريبته فيامر اعوانه بتعقب خطواتك لكي يعرف من اسرارك ما يجهل .

فابتسمت "جوان بارلو" وقالت :

- اتحسبني اجهل كل هذا ؟ الا تعلم أني أستطيع أن استعمل المسدس؟

- كما تستعمله كل امراة . إذ تضطرب يداها ولا تقوى على إطلاقه انسيت ان ثلاثة من رجال "انجربيك" فقدوا حياتهم في النضال ؟

فهزت كتفيها في غير اكتراث قائلة :

- على من ينضم إلى شركة "انجربيك" أن يعلم انه انضم إلى جيش يقاتل وأن حياته على كف شيطان .. وان عليه الا يحجم عن شيء يدفعه إليه الواجب مهما كانت العواقب . فهبك في موقفي فهل كنت تتردد في تلبية الدعوة والذهاب إلى اليخت ؟

- ما كنت لاتردد بالتاكيد .. ولكنك فتاة .

- آه .. فتاة مسكينة لا قدرة لها على الدفاع عن نفسها ! كلا يا سيدي إني لست من هذا الطراز .

- هل لي أن افهم من ذلك انك قبلت الدعوة فعلا ؟

- نعم .

ثم ضحكت وقالت :

- و "بوهيم" فيما يلوح ليس قاسيا كما تتصور فقد ارسل إلي مع رقعة الدعوة باقة جميلة من الأزهار .

- إني أخشى أن تحبيه .

- ولم لا ؟

- إنه جدير بان يحب .. فانفه المعقوف الذي يشبه منقار النسر يثير الإعجاب . ولكن أرجوك أن تروضي ضميرك على الجمود .. إني اتصورك الآن وانت في سيارة "بوهيم" الفخمة والجواهر والماسات تزين عنقك ومعصميك .. اتصورك وانت في وسط هذا النعيم الشامل

وقد استيقظ ضميرك فجاة فوضعت فرنكا في يد شحاذ قذر لانه نكرك بـ"ارسين لوبين" المسكين .

فضحكت الفتاة وقالت :

- ارجوك الا تقول هذا فإنك تمزق قلبي . فمن اين لي أن اعلم انك مهتم بي ؟

- يظهر اني نسيت ان اخبرك .. ولكن الم تقرئي في شحوب وجهي وذبول وجنتي ما ينطوي عليه صدري ؟

- كلا . فقد تعلمت في المدرسة قراءة الكتب لا قراءة الوجوه .

- هذا نقص شنيع .. وسارفع عريضة إلى وزارة التعليم لأطلب تلافي هذا النقص المعيب .

تحفزت الفتاة للانصراف وهي تقول :

- يجب ان انصرف الآن فقد يهبط "بوهيم" إلى الشاطىء ليزورني .. وليس من الحكمة أن يرانا معا . ولكني أريد ان أعلم قبل أن أنصرف إذا كان عزمك قد صح على الانضمام إلي في هذه الحرب الدموية ..؟

- الم تفهمي بعد اني قبلت .

- لقد خيل هذا إلي ولكني اردت أن استوثق . ولو أن "انجربيك" نفسه كان في مكاني لفعل كما فعلت . وثق انك ستنال عمولة طيبة.

- وأين العقد ..؟

فكان جوابها :

- لقد تم التعاقد بتلك القبلة التي طبعتها على شفتي بالأمس .

وانصرفت مسرعة .

لبث "لوبين" يراقبها ببصره وهي في طريقها إلى الكازينو حتى توارت عن عينيه .

وسمع إلى جانبه صوت خادمه يخاطبه فقال له :

- إنك يا "بيير"

تعكر صفو اللحظات بوجهك القبيح ..!

- أهذه هي السيدة التي حدثتني عنها ..؟

- إنها ليست سيدة .. ولكنها ملاك هبط من السماء ليهديني إلى الخير وليثنيني عن طريق الخطايا .

ثم سار وهو يقول :

- هيا بنا يا "بيير" إلى اليخت فإن الوقت ضيق .

ولما وصل إلى يخته ارتمى على مقعد طويل وغرق في التفكير .

وبعد ساعة اقبل عليه خادمه "بيير" فرآه على مثل جلسته فقال له :

- فيم تفكر يا سيدي ..؟

- افكر فيها ايها الغبي .

- فيها ..؟ في رحلتنا القادمة ..؟

- بل في الفتاة التي سلبتني عقلي يا اغبى الأغبياء ..! لقد قبلتها فكانت هذه القبلة هي مفتاح الباب الذي سيقودني إلى طريق التقوى والصلاح .. الم تتصور "ارسين لوبين" يوما رجلا شريفا ..؟

فسعل "بيير" وقال :

- الحق إني .. إني .

- تكلم .

- إني لم اتصورك قط رجلاً شريفا .

- اعلم إذن انك مخطيء في اعتقادك . فـ"ارسين لوبين" الذي امامك الآن هو اشرف رجل على وجه الارض .. تصور انه سيغترف الملايين بيديه فلا ينال منها فرنكا واحدا وإنما سيعطيها لسواه ..! وكل هذا من اجل امراة .

- فهز "بيير" راسه وقال في صوت خافت :

- سيدي .. هل انت في حاجة إلى اسبرين أو كمادات من الثلج..؟

- لا يا "بيير" .. إني لست مريضا .. ولكني احبها .

وتنبه "لوبين" على صوت قارب بخاري يدنو من يخته متجها إلى الشاطيء فلما صار في مرمى النظر تبين على ظهره "فون بوهيم" ومعه رجل بدين ذو لحية سرى إليها الشيب وعلى رأسه قبعة من الخوص من طراز بنما .

وقال خادمه "بيير" يساله :

- هل أعد الغداء يا سيدي . فقد أشرفت الساعة على الواحدة..؟

فكان جوابه ان نهض واقفا وهو يقول :

- لا اريد غداء فإني ذاهب إلى الشاطىء ؟.

- إلى الشاطىء ..؟ ولكنك حضرت من هناك الآن توا ..؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- ولو يا صديقي ..!

الفصل السادس

استقل "لوبين" قاربه البخاري واتجه به إلى الشاطىء . ولكنه لم يسلك نفس الطريق الذي اتخذه "بوهيم" وإنما سار في الناحية المضادة بسرعة كبيرة فلما دنا من الشاطىء عكس اتجاهه ومشى إلى الخليج في نفس الوقت الذي بلغه فيه "بوهيم" . ولكنه كان حريصا حذرا في مناوراته فتعمد ان يجعل بينه وبين قارب "بوهيم" باخرة ضخمة كانت تهم بالرسو في الميناء في هذه اللحظة .

اندمج "لوبين" في غمار النازلين من الباخرة وجعل يرقب خلسة "بوهيم" وصاحبه . ولم يكن عسيرا عليه أن يتبينهما إذ كانت قبعته تخفي وجهه حين ان تلك التي يلبسها الرجل البدين علماً بارزاً تجعله لا يغيب عن النظر .

ورآهما "لوبين" يتجهان إلى الكازينو فتبعهما بعد بضع دقائق واخذ يتجول في حديقة الكازينو بحثاً عن مائدة خالية . وقادته قدماه بالتاكيد لمائدة على مقربة من المائدة التي جلس إليها "فون بوهيم" وصاحبه . وفي اللحظة التي رفع فيها "بوهيم" راسه تعمد "لوبين" أن ينظر إليه متظاهراً بان الأمر جاء عفوا .. ثم ظهرت الدهشة على وجهه.. دهشة المعرفة والذكرى .

ولم يكن الموقف يحتمل من "فون بوهيم" إلا ان يحيي صاحبه وهو على قيد خطوة واحدة منه فارتسم على وجهه الجامد ابتسامة آلية وقال :

- ارجو الا اكون قد ازعجتك ليلة الأمس .

فابتسم "لوبين" وقال :

- كلا مطلقا .. إذ الواقع اني لم اغادر مائدة القمار في الكازينو إلا في ساعة متاخرة من الليل .. فعندما رايتني كنت عائداً تواً وقد وقفت استنشق الهواء النقي .

وارسل "لوبين" بصره إلى الرجل ذي اللحية البيضاء بطريقة حملت "بوهيم" على ان يقوم بواجب التعارف فقال :

- هذا هو الأستاذ "ماركو" .. وانا ادعى "بوهيم" ، فتفضل بالجلوس

يا مسيو .. يا مسيو .

فقال "لوبين" على الفور ودون أن تختلج في وجهه عضلة واحدة:

- "كوشيه" .

جلس "لوبين" على الفور إذ كانت هذه هي الدعوة التي ينشدها.. وقدم "بوهيم" إليه سيجارة وهو يقول :

- يلوح لي انك مولع بالمقامرة يا مسيو "كوشيه" . ؟

فهز "لوبين" كتفيه في غير اكتراث وقال :

- إني أحب أن امضي الوقت باية طريقة كانت . وهذا هو كل شيء . اما القمار في ذاته فلا يطيب لي . فضلا عن اني لا العب إلا بمبلغ قليل .

فقال "بوهيم" في صوت أجوف رنان :

- عين الحكمة .. إن الذين يتعرضون للخسائر والنكبات إنما هم اولئك الذين يبالغون في اللعب ويتجاوزون الحدود .. إن تجاوز الحدود خطر .

ونفث "لوبين" من فمه حلقة كبيرة من الدخان واخذ يسال نفسه عما إذا كان "بوهيم" يقصد القمار فقط بجملته أم انه يشير من طرف خفي إلى كل من يتجاوزون الحدود في أي شيء فيتدخلون فيما لا يعنيهم . !

فابتسم "لوبين" وقال :

- لا خطر هناك علي حتى ولو تجاوزت الحدود .. فإن رصيدي في البنك ضخم لا ينفد .

وقد القى "لوبين" هذه الجملة بطريقة تدل على عدم الاكتراث ، فلـ"بوهيم" أن يفهم منها ما يشاء . فإذا كان قد رمى بجملته إلى معنى خفي فقد اجابه "لوبين" بنفس الطريقة . اما إذا كان بريء القصد فها قد جاءه جواب بريء .

وقال "فون بوهيم" فجاة في صوته الهادئ وسحنته الجامدة :

- اتنوي أن تقيم طويلا في هذه الناحية . ؟

- لا أدري فإني لم اضع خطة معينة بعد .. فقد اظل في مكاني أياماً طويلة . وقد ارحل فجاة وعلى غير انتظار . إن الأمر يتوقف على سامتي من البقاء .

- كثيرون يعتقدون أن الإقامة هنا مثيرة للضجر .

فحنى "لوبين" راسه وقال :

- وإني من هذا الراي .. حتى الآن على الأقل .

اخذ "بوهيم" ينقر باصبعه على المائدة وقد أرسل بصره في أنحاء الحديقة يراقب الغادين والرائحين .. وانصرف الجالسون إلى المائدة المجاورة وحل سواهم مكانهم . على انهم ما كادوا يستوون على مقاعدهم حتى أخذوا يتهامسون في صوت خافت وهم ينظرون إلى الرجل الملتحي الذي يجالس "فون بوهيم" . وسمع "لوبين" أحدهم يقول:

- إنه هو بلا شك . لقد قام منذ عهد قريب بتجربة ناجحة في الغوص.

وفهم "لوبين" عند هذا كل شيء .. ذكر أن هذا الرجل الملتحي هو الأستاذ "ماركو" الشهير الذي اخترع جهازاً يمكن به الغوص إلى عمق بعيد في قاع المحيط . ولقد نشرت المجلة الجغرافية منذ بضعة أشهر بحثا مستفيضا في هذا الشان دللت فيه على ان جهاز الأستاذ "ماركو" سيحدث ثورة علمية خطيرة إذ سيمكن العلماء من دراسة أعماق البحار عن كثب ..

تلك الأعماق التي كان الوصول إليها مستحيلا بواسطة الأجهزة الأخرى التي لم تكن تحتمل ضغط المياه على عكس الغرفة الفولاذية التي اخترعها الأستاذ "ماركو" المزودة بألواح من الزجاج غير قابلة للكسر إذ أمكن بواسطتها الوصول إلى عمق خمسة آلاف قدم .

والآن ها هو ذا العلامة "ماركو" في ضيافة "بوهيم" .. فليس في الأمر بعد هذا من خفاء .

ونظر "لوبين" إلى الأستاذ "ماركو" في فضول واهتمام فقال "بوهيم :

- لا شك انك سمعت عن الأستاذ "ماركو" ؟

- بالتاكيد .. ولقد تذكرت الآن كل ما أعلمه عنه إذ سمعت جملة من أحد الجالسين إلى المائدة المجاورة نبهت ذهني من ركودة .. إن تجاربك يا أستاذ تستحق الإعجاب العظيم .

فهز الأستاذ كتفيه وقال :

- إنها تجارب مسلية وإن كانت مخيفة .. ومتعبة . فدرجة البرودة على عمق خمسة آلاف قدم لا تكاد تطاق لشدة برودتها إذ إنها فوق الصفر بدرجتين أو ثلاث . فضلا عن أن ضغط الماء يحطم أشد الأجهزة

صلابة ومتانة . وقد شرعت الآن في تزويد الغرفة بجهاز كهربائي للتدفئة لاتقاء البرد في المرات القادمة .

– اتنوي إذن أن تهبط إلى الأعماق مرة أخرى ؟

– نعم . فإن الرحلة الأولى كانت بقصد التجربة ليس إلا .. أما في هذه المرة فارجو أن اصل إلى ضعف العمق الذي بلغته في المرة السابقة .

– وما الغرض من هذه التجارب ؟

– دراسة التيارات العميقة والأسماك التي تعيش هناك .. ومن المحتمل أن يجد المرء هناك انواعا عجيبة من الأسماك الهائلة الضخمة . وما يدريك اننا قد نهتدي إلى ثعبان البحر الذي ورد ذكره في الخرافات والأساطير .

فقال "لوبين" في شرود :

– الحق أن أعماق البحار حافلة بالأعاجيب والغرائب .

والتفت الأستاذ "ماركو" إلى فون بوهيم" قائلا :

– ويجب أن أشكر مسيو "بوهيم" .. فلولا ما قدم إلي من مساعدات مالية لما أمكنني ان اتهيأ للقيام بالتجربة الثانية فقد نفدت جميع مواردي بسبب تجربتي الأولى .. ولكنني أرجو الآن ان استمر في تجاربي بفضل هذه المعونة النفيسة .

وأخذ الأستاذ "ماركو" يفيض في شرح النتائج العلمية التي قد تسفر عنها هذه التجربة واختتم كلامه بقوله :

– فهذه التجربة قد تؤدي إلى إثبات نظرية "فوجنير" التي ذكر فيها أن الأرض كانت مغمورة في الماضي بالماء وانه سياتي يوم تجف فيه البحار .

فهز "لوبين" رأسه قائلا :

– فهمت .

وإذ ذاك اقترب منهم رجل فرنسي يحمل آلة للتصوير وقال :

– إنني ايها السادة مندوب الاتحاد الفرنسي للصحف . فهل تسمحون لي بالتقاط صورتكم ؟

ونظر إلى الأستاذ "ماركو" يطلب منه الجواب فحنى هذا راسه موافقا والتقط المصور الصورة وقد جمعت بين "ماركو" وصاحبيه .

وعلى اثر هذا نهض "بوهيم" واقفا وهو يقول :

- أظن انه لابد من انصرافنا إذ إننا مرتبطان بموعد آخر ... ولكن إذا كانت هذه الأبحاث تروقك فإني أكون سعيدا إذا رافقتنا في رحلتنا للقيام بالتجربة القادمة .. التي يراد منها التحقق من متانة جهاز جديد يراد استعماله في الأعماق المتوسطة .

فاجابه "لوبين" في بطء :

- إني أكون سعيدا بقبول هذه الدعوة .

- ولكننا لن نجري التجربة في هذا المكان فالمياه هنا ضحلة قريبة الغور .. ولكننا سنجربها في بحر هيرد ديب شمال جزيرة الدرني ... فالعمق هناك يبلغ نحو ستمائة قدم وهو يكفي لتحقيق غرضنا . وسنسافر في صباح الغد إلى ميناء سانت بيتر فهل تحب أن ترافقنا ؟

فقال "لوبين" في شيء من الارتباك :

- إن مثل هذه الدعوة لا توجه إلى الإنسان دائما .. واظن ان من الحماقة ان ارفضها .

- إذن سنلتقي بك غدا .

انصرف الرجلان ولبث "لوبين" يتابعهما ببصره وهو يسأل نفسه عن سر هذه الدعوة .. ترى هل ارتاب "فون بوهيم" في امره ..؟ هل خطر له أن له علاقة بالفتاة ..؟ أرآه احد من أعوانه في رفقتها عندما كانا على الشاطىء .؟

هز "لوبين" كتفيه في غير احتفال وقال في نفسه :

- مهما يكن من أمر فهي دعوة من الحماقة ان ترفض حتى ولو كانت دعوة إلى الموت ..!

الفصل السابع

لم يكد الرجلان ينصرفان حتى اقبل احد باعة الصحف ينادي على ما يحمل فابتاع "لوبين" صحيفة "الطان" وقرا فيها نبا اكد شكوكه إذ كان سلسلة من تلك الحوادث المتعاقبة التي توحي إلى الذهن بان هناك شيئا يجري في الخفاء . اما فحوى الخبر فهو أن باخرة ستغادر ميناء فالموث في اوائل شهر اغسطس لكي تتولى البحث في المياه الإنجليزية عن كنز يمكن أن يعد اكبر كنز عرفه التاريخ . وهذه الباخرة تسمى "روستورر" وهي من بواخر شركة جلاسجو لانتشال السفن الغارقة . ومهمتها أن تنتشل الباخرة شالفونت أو تنتشل بعبارة أخرى ما كانت تحمل من ذهب وجواهر قيمتها خمسة ملايين جنيه .

إذن فـ"فون بوهيم" إنما ينشد هذه الباخرة بالذات .. وإلا فما الذي يدعوه إلى أن يذهب بالأستاذ "ماركو" وجهازه إلى نفس البحر الذي غرقت فيه الباخرة شالفونت وقد كان في وسعه أن يذهب به إلى بحر ماديرا مثلا فهو اقرب وتتوافر فيه جميع الشروط اللازمة لإجراء التجربة .

لقد غرقت شالفونت منذ عهد قريب فرات شركة الإنقاذ ان تعجل بانتشال الشحنة إذ علمتها التجارب السابقة أن التباطؤ يمكن لصوص البحر من السطو على الباخرة قبل أن تخف شركات الإنقاذ لانتشالها . ويظهر أن "فون بوهيم" قابل هذه السرعة بسرعة اعظم فصح عزمه على القيام بعمله قبل حلول شهر اغسطس .

وتناول "لوبين" غداءه في المطعم فلما فرغ منه ذهب إلى كاتب الفندق وساله عن التليفون فانباه انه في نهاية المشى فقال "لوبين" :

– كلا .. إني أريد أن اتصل بلندن . فدعني استاجر إحدى الغرف وصل تليفونها بالتليفون العمومي وسادفع الأجر بالتاكيد .

وبعد عشر دقائق كان "لوبين" جالسا في إحدى غرف الفندق وقد أوصد الباب على نفسه . ولما تم الاتصال سمع من الطرف الآخر صوت صديقه "كولمان" .. وبعد تبادل التحية قال "لوبين" :

- اسمع يا "كولمان" .. الم تقل لي إن لك أسرة محترمة ..؟
- ولا تزال محترمة فإنني الفرد الوحيد منها الذي يصادقك .
فضحك "لوبين" وقال :
- الأحدهم اتصال بشركة لويدز للتامين ..؟
- إن لي ابن عم يعمل هناك .
- هذا بديع .. اذهب إذن إلى ابن عمك وذكره بماضي الأسرة العتيدة واطلب منه معلومات تهمني عن الباخرة شلفونت التي غرقت في شهر مارس على مقربة من جزيرة الدرني .. اريد ان اعرف - بالضبط - المكان الذي غرقت فيه . فلدى الشركة بلا ريب بيانات دقيقة تتعلق بهذا الشأن . ثم بين نقطة الغرق على خريطة ترسلها إلي الليلة باسم "كوشيه" على أن تحفظ بشباك بريد سانت بيتر .. افهمت ؟
- تماما .. ولكن خبرني .. امعنى ذلك انك عدت إلى القتال..؟
- يجوز .. وهناك مسالة اخرى .. اتظن ان في وسعك أن تبتاع لأجلي بذلة من النوع الذي يرتديه الغواصون عندما يخطر لهم أن يتنزهوا في قاع البحر .. اريد بذلة من احدث الأنواع المضمونة . - ولكن ما غرضك من ذلك ..؟
- لا غرض لي .. كل ما هنالك اني بدات أهتم بالأبحاث العلمية في قاع البحر .. فإذا اشتريت هذه البذلة الآن وارسلتها على الفور كان ممكنا أن تصلني .. فقاطعه "كولمان" بقوله :
- ولم لا آتيك بها بنفسي ..
فتردد "لوبين" برهة ثم قال :
- فليكن .. فقد يكون في وجودك منفعة كبيرة لي . فيمكنك إذن أن تحضر جهازين للغوص بدلا من جهاز واحد .
وذكر "لوبين" عند هذا أن "فون بوهيم" لا يمكن أن يقدم على هذا العمل إلا إذا كان إلى جانبه نفر غير قليل من الأعوان .. وليس من الحكمة أن يواجههم "لوبين" بمفرده فقال يخاطب "كولمان" :
- ولا باس من أن تحضر معك نفرا من الأصدقاء الذين يحبون المتاعب وانزلوا جميعا في فندق رويال .. ولكن إياكم أن تتظاهروا بمعرفتي .. فلا توجهوا إلي الحديث إلا إذا بادأتكم به أنا .. فهمت ؟

- فهمت .

إلى اللقاء إذن .

وعندما غادر "لوبين" الغرفة وهبط إلى بهو الفندق وقع نظره على رجل يرتدي بذلة رمادية وحذاء أصفر اللون وكرافتة حمراء وقبعة بيضاء فلفتت هذه المجموعة العجيبة من الألوان بصره . ثم سرى الشك إلى نفسه بغتة إذ ذكر انه راى هذه المجموعة ذاتها في قاعة الطعام في الكازينو وهو جالس يتناول غداءه . وكان صاحبها جالسا إلى مائدة مجاورة .

دفع "لوبين" اجر الحديث التليفوني .. ورمى ببصره خلسة إلى الرجل فرآه ينظر إليه فوقع في روعه انه جاسوس من جواسيس "فون بوهيم" كلف بان يتعقب خطواته . وزاده يقينا انه راى نفس الرجل يقتفي اثره في الطريق .. فهل بدأ "بوهيم" يرتاب فيه ؟

من المستبعد جداً أن يكون هذا الجاسوس قد سمع شيئا من الحديث التليفوني الذي دار بين "لوبين" وصاحبه "كولمان" .. ولكن من المؤكد انه عرف أن "لوبين" اتصل تليفونيا بإنجلترا . ومثل هذا الاتصال كفيل بان يثير الشكوك .

استقل "لوبين" إحدى سيارات التاكسي وامر السائق بالإسراع ثم نظر من خلال النافذة الخلفية فراى سيارة اخرى في اثره وقد جلس في داخلها الجاسوس المغرم بالألوان المتنافرة .

وبلغت سيارة "لوبين" منعطفا حادا فما كادت تدور حوله حتى همس "لوبين" في اذن السائق :

- انعطف إلى اليسار ثم اتخذ الناحية اليمنى .

فوقعت بذلك ثلاث حركات متناقضة جعلت سيارة "لوبين" تعود في نفس الاتجاه الذي جاءت منه ولكن في شارع محاذ للشارع الذي كانت سيارة الجاسوس لا تزال في اوله .. وبذلك استطاع "لوبين" ان يفلت من مطارده .

ولكنه لم يمض إلى الميناء . وإنما اوقف السيارة ونقد السائق اجره ودخل حانوت بائع سجائر واتصل تليفونيا بـ"جوان بارلو" فالفاها في غرفتها فقال لها :

- ساحضر فورا لزيارتك .. كم رقم غرفتك ؟

- ٢٨ ولكن ..

فقاطعها بقوله :

- كوني مطمئنة .. فساصعد إلى غرفتك توا كاني صاحبها دون ان اسال احداً عنك .

الفصل الثامن

عندما دخل "لوبين" على الفتاة وجد انها لم تكن وحدها .. كان في رفقتها رجل متجهم الوجه وقح النظرات بدين الجسم أصلع الراس وفي سحنته ما يدل على الصلابة والشجاعة .

وقال "لوبين" معتذرا :

- اخشى ان اكون متطفلا .

فزمجر الرجل الأصلع وقال :

- "جوان" .. كيف عرفت ان هذا الرجل موضع للثقة ؟

فاجابته الفتاة في هدوء :

- الا ترى ان له ابتسامة ظريفة ؟

وتمتم "لوبين" قائلا :

- إن ابتسامتي يا رجل هي التي تجعلني موضعا للثقة .. ولكن من هو هذا الأصلع يا "جوان" ؟

- إنه يدعى "جون مندرسن" .

- من رجال "انجربيك" ؟

- نعم .

- إنني ادعى "لوبين" .

ومد "لوبين" يده إلى الرجل فصافحه هذا في برود وهو مقطب الجبين . وقال "جون مندرسن" فجاة :

- اسمع يا "لوبين" !.. إني اكره من يتدخلون فيما لا يعنيهم .

- وانا ايضاً .

ثم اردف على الفور قائلا :

- متى حضرت ؟.

- وصلت شربورج في هذا الصباح .

- وهل سالت كاتب الفندق عن مس "جوان بارلو" ؟.

- نعم .

- الم تر بين الحاضرين شخصا يرهف السمع إلى سؤالك ؟.

- إني لم انظر إليهم .

فقال "لوبين" يلومه :

- كان ينبغي أن تجشم نفسك هذه المشقة .. عندما حضرت انا الآن لم اسال عن مس "بارلو" وإنما ارتقيت السلم مباشرة . وقد لمحت شخصا منزويا في احد الأركان وهو يرقب الداخلين ومكتوب على وجهه بالخط العريض انه جاسوس ، ولكنه لم يرني إذ اخفيت وجهي خلف صحيفة منشورة . ولكن من المؤكد انه رآك انت إذ إن موقفه عند منصة الكاتب يسمح له بان يسمع كل سؤال يوجه . وهو ما وقف هناك إلا ليرى كل من يسال عن مس "بارلو" .

وساد صمت قصير قطعته "جوان بارلو" بقولها :

- اكنت تعرف ان "مندرسن" موجود هنا ؟

- لا .. ولكنني ادركت أن هناك جاسوسا يتعقب خطواتي . وقد استطعت ان أضلله واتملص منه .. غير أني فهمت من ذلك أن الشكوك بدات تسري إلى قلب "فون بوهيم" . فاردت أن احضر لاحذرك . ومما يؤسف له انهم راوا "مندرسن" وهو يسال عنك . وماداموا قد عرفوا أن له صلة بك فسيكون هدفا لهم .

فقال "مندرسن" في خشونة :

- إني أعرف كيف أدافع عن نفسي .. ولست في حاجة إلى مربية لتعلمني ما يجب وما لا يجب .

فقال "لوبين" في غير مبالاة :

- إني اعرف ذلك فانت الآن طفل كبير . ولكن أمرك لا يهمني في شيء. إذ إني في الواقع لا أهتم إلا بـ"جوان بارلو" . فإذا عرف "فون بوهيم" أن لها علاقة برحل مثلك من رجال "انجربيك" كان في ذلك خطر محقق عليها .

فقطب "مندرسن" جبينه وقال :

- وإلى اي شيء ترمي ؟.

- أريد ان اقول إني وحدي الذي ساتولى هذه اللعبة . اما انت و"جوان بارلو" فعليكما أن تكفا أيديكما .. إن "جوان" لا تزال بعيدة عن الشبهات في نظر "بوهيم" وإن كانت الشكوك قد بدات تحوم حولها أما انت فامرك معروف وبقاؤك يدعم الشكوك ضد "جوان" .. فارحل على

الفور .

– ماذا تقول ؟.

– اقول لك ارحل على الفور .. ولتشيعك "جوان" حتى باب الفندق ولتتظاهر امام الناس اجمعين بانك صديق لأبيها .. وانك في مرورك بدينار رايت ان تزورها عفواً . فإذا سمع الجواسيس هذه الحكاية نقلوها إلى "فون بوهيم" فصدقها ما دام قد راك ترحل .. وانتفى ما في صدره من الريب ضد الفتاة على الرغم من علمه انك من رجال "انجربيك" .. وبهذه المناسبة اذكر لكما ان "بوهيم" سيذهب غداً إلى ميناء سانت بيتر فقالت "جوان" تساله :

– وكيف عرفت هذا ؟.

– إنه هو الذي انباني بنفسه .. بل لقد تفضل فدعاني إلى مرافقته في هذه الرحلة .

وساد صمت قصير قطعه "مندرسن" بقوله :

– ما يدريك يا "جوان" ان لـ"فون بوهيم" جاسوسا . وان هذا الجاسوس هو صاحبك "لوبين" ؟. إني ارى "لوبين" شديد الاهتمام بإقصائي وإغرائي على السفر . فمن المحتمل جداً انه يريد بذلك ان يخلو له الجو ليختطفك ويذهب بك إلى "بوهيم" .

فضحك "لوبين" طويلا وقال :

– وهل تعتقد يا رجل ان وجودك يمكن ان يحول دوني او دون "بوهيم" واختطاف الفتاة إذا نحن اردنا ؟.

– ماذا تقصد ؟.

– اقصد أن وجودك وغيابك سواء .

واخذت "جوان بارلو" تنقل بصرها بين الرجلين وقد ادركت ان الموقف بينهما قد تحرج فرات ان تتدخل بقولها :

– عليك ان ترحل يا "مندرسن" .

فقرض الرجل على اسنانه وقال في غضب :

– اتحسبين اني جئت لاتلقى امراً من هذا الدعي ؟

– كلا يا "مندرسن" .. ولكنك تتلقى أوامرك مني انا .. إن "لوبين" على حق فيما يقول . فوجودك يفسد الحيلة التي ادبرها إذ المعروف انك من

رجال "انجربيك" .

فصاح "مندرسن" في حنق قائلا :

– محال ان ارحل ..!

– بل يجب ان ترحل .. وعلى الفور .! إنني انا التي أتولى قيادة الدفة فعلى الجميع ان يتلقوا اوامرهم مني !

– يظهر انك جننت .!

فلم تقل الفتاة شيئا وإنما تناولت سيجارة أشعلتها وجعلت تدخن في هدوء وهي تحدجه بنظراتها .

ونهض "مندرسن" فجاة واقفا وهو يقول :

– سارحل إذن مادمت تريدين ذلك .. ولكن سياتي يوم تتمنين فيه لو اني بقيت .

ثم تحول إلى "لوبين" قائلا :

– اما انت فاعلم انه لو اصاب "جوان" سوء بسبب عدم وجودي..

فقاطعه "لوبين" بقوله :

ساخطرك بالتاكيد لتحضر الجنازة حتى تضع باقة على القبر ..!

ومشى "لوبين" إلى النافذة فاطل منها ثم قال :

– يمكنك ان تشيعي "مندرسن" حتى باب الفندق .. اما انا فساخرج من النافذة بواسطة سلم الحريق . إذ ليس من الحكمة أن اجازف باجتياز البهو مرة اخرى .. وبالمناسبة .. اما زلت مصرة على تلبية دعوة "بوهيم" إلى تناول العشاء على يخته الليلة ؟

– بكل تاكيد .

– اذهبي إذن تحفك السلامة .

ولما رجع "لوبين" إلى يخته نام قليلا .. ولما استيقظ كان المساء قد ارخى سدوله فجلس على ظهر اليخت يطالع كتابا .

وبعد فترة من الوقت مر على مقربة منه قارب بخاري متجها إلى اليخت بلومبرج .. ولمح "جوان بارلو" على ظهره فعرف انها ذاهبة تلبية للدعوة إلى العشاء .

لبث "لوبين" يطالع كتابه .. ولكن خواطره شردت إلى "جوان بارلو" . جعل يتصور لقاءهما الأول .. وابتسامتها العذبة .. ونظراتها

الفتانة.. وخصلات شعرها المتهدلة .

وظل غارقا في هذه الأحلام ساعة او بعض ساعة .

وعلى حين فجاة ذكر ان "جوان بارلو" موجودة الآن في يخت "بوهيم".. فهل هناك يا ترى خطر يتهددها ؟ إن "بوهيم" يستريب في امرها .. ومن المحتمل ان الشكوك استحالت يقيناً .. ومن المحتمل ان تكون "جوان" الآن مضطهدة .. او معذبة .. او في حاجة إلى من يخف إلى نجدتها !.

ووثب "لوبين" واقفا فجاة واسرع إلى غرفته فخلع ثيابه وارتدى ثوب الاستحمام وعلق في منطقته كيسا من الجلد الذي لا ينفذ منه الماء وضع في داخله مسدسه وقد حشاه برصاص مدهون بالشحم حتى لا يفسد إذا افترض وابتل بالماء .

وبعد لحظات كان يسبح في سكون متجها إلى اليخت بلومبرج وهو حريص الا يخرج ذراعيه من الماء .. وعلى ان يجعل ضرباته خفيفة لا يسمع لها صوت حتى لا يلفت إليه انظار من في اليخت

وعلى حين فجاة ذكر "لوبين" ذلك المصور الذي جاء مندوبا عن الصحافة الفرنسية فالتقط صورة الأستاذ "ماركو" وصاحبيه "بوهيم" و "لوبين" .

أصحيح ان هذا المصور من رجال الصحافة ؟ ام انه من رجال "فون بوهيم" تذرع بهذا الزعم لكي يلتقط صورة "ارسين لوبين" . ومن السهل بعد ذلك ان تعرض الصورة على نفر من رجال العصابات فيعرفون فيها على الفور اللص الشهير .

نعم .. من المحتمل ان يكون "فون بوهيم" قد لجا إلى هذه الحيلة ليتاكد من شخصية جليسه الذي زعم انه يدعى مسيو "كوشيه" .

ابتسم "لوبين" وقال في نفسه :

- لو صح هذا التخمين لاستقبلني "بوهيم" في الغد عندما البي دعوته استقبالا رائعا !. ولكني مع هذا لن اتخلف عن الذهاب !

وظل يسبح في طريقه إلى اليخت .

الفصل التاسع

كانت السماء ملبدة بالغيوم تحجب القمر فاشتمل البحر ظلمة حالكة واخذ "لوبين" يشق طريقه إلى اليخت سابحا بطريقة لا تستلزم منه حركات عنيفة تلفت النظر . إذ كان يحرك ذراعيه تحت سطح الماء في خفة ورشاقة دون ان تضطرب من الماء حوله قطرة واحدة حتى ليخيل لمن يراه انه قطعة طافية من الخشب يدفعها التيار .

كان السكون هو عدته وراس ماله . وبلغ من حرصه عليه انه لم ينبه رجلا في قارب من النوع الرياضي المستطيل كان ينزلق على الماء بسرعة متجها إلى ناحيته . واكتفى بان غاص بضعة امتار ليتفادى بذلك ضربة المجداف التي كادت تصيب راسه . ولما برز ثانية إلى السطح كان القارب قد ابتعد في طريقه إلى الكازينو .

ولما اقترب "لوبين" من اليخت غاص ثانية في الماء واخذ يسبح تحت سطحه ولم يبرز إلا حين بلغ رفاص اليخت فتوارى في دواليبه وأخرج راسه مطمئنا إلى انه لن يرى وهو في هذا الوضع.

مرت ثلاث دقائق وهو في مكانه مرهف السمع لأقل حركة أو صوت .. ولكن السكون ظل سائدا فايقن أن سره لم يكشف وانه ليس هناك لجنة للاستقبال ستخف إلى مقابلته والترحيب به !

وأخرج "لوبين" من الكيس المعلق بمنطقته قناعا من المطاط الأسود وضعه على وجهه حتى إذا خانه الحظ ولمحه أحد ممن في اليخت عجز عن أن يتبين وجهه .

تعلق "لوبين" باحد حبال اليخت ورفع جسمه قليلا إلى الأعلى حتى حاذى رأسه كوة مضاءة قريبة منه ونظر من خلالها . فإذا أمامه قاعة كبيرة تشغل الشطر الأكبر من اليخت وقد جلس فيها نفر من الرجال فهناك اثنان يطالعان الصحف ويدخنان .. وهناك أربعة انتظموا حول مائدة في وسط الغرفة يلعبون الورق . وقد شاطرهم المنضدة شخص خامس وهو منهمك في كتابة خطاب . وفحص "لوبين" وجوههم في اهتمام حتى انطبعت صورهم في ذهنه وقد أدرك من الغضون والتجاعيد المنتشرة في وجوهم التي لوحت الشمس بشرتها انهم من

رجال البحر القدماء .

انتقل بعد هذا في حذر إلى كوة ثانية . ولما نظر منها وقع نظره على ذلك الجاسوس المولع بالثياب المتنافرة الألوان ، الذي تعقب خطواته بعد ظهر ذلك اليوم . وفي نفس الغرفة كان الجاسوس الثاني الذي رآه في فندق دي لامير عند ذهابه إلى زيارة "جوان بارلو" .

ولم يكن في وسع "لوبين" أن يفحص غرف اليخت الأخرى وإلا اقتضى الأمر منه أن يتسلق الحبال . ومثل هذا العمل مجرد عن الحكمة وليس له فائدة . ولكن كان هناك كوة فوق رأسه تناهى إلى سمعه منها أصوات ميز من بينها صوت الأستاذ "ماركو" وهو يقول مختتما روايته عن إحدى تجاربه في الغوص تحت سطح الماء :

- كانت السمكة هائلة ضخمة وقد اقتربت من الغواصة والصقت عينيها بزجاج النافذة وجعلت تحملق إلينا . والغريب أنها كانت تنظر إلينا باحتقار كأنما تستخف بهذه المخلوقات الآدمية .

وضحك الحاضرون لهذه الدعابة ثم سمع "لوبين" صوت "بوهيم" المجرد عن الشعور يقول :

- ألا يغريك هذا يا "شلنبرج" بأن تغوص إلى قاع البحر .؟

وارتفع صوت أجش لم يسمعه "لوبين" من قبل يقول :

- أنا ؟. إني أخاف حتى السباحة فكيف أهبط إلى القاع .! أتحبين أنت الغوص يا مس "بارلو" .؟

وتكلمت "جوان بارلو" فقالت :

- إن الغوص لذيذ فيما أعتقد .. ولكني أخشى أن أقوم بمثل هذه التجربة فإن الخوف لا يلبث أن يستولي علي .

ودار "لوبين" حول اليخت في سكون ولما رجع ثانية إلى مكانه الأول كان المقامرون قد انتهوا من لعبهم . وكاتب الخطاب قد فرغ من كتابته . أما الرجلان اللذان كانا يطالعان فكانا لا يزالان متمددين على مقعديهما يقرآن . أما الجاسوسان فكانا قد ارتميا على فراشهما ينشدان النوم .

وأخذ "لوبين" يسأل نفسه عما إذا كان "بوهيم" قد أقام فوق اليخت رقيبا ؟. ولكن ما الداعي إلى هذه الرقابة و "جوان بارلو" موجودة على ظهر اليخت ؟ فإذا كان "بوهيم" يستريب فيها فهو آمن من شرها ما

دامت معه وليس به من حاجة إلى إقامة احد من الرقباء ، فضلا عن أن ريبته فيها لا تستند حتى الآن إلى دليل . وبفرض انه ايقن انها تابعة لشركة انجربيك" فليس ثمة ما يدعوه إلي الحذر وهو يعلم انها غير متصلة باحد وان الرجل البدين الاصلع الذي جاء يزورها صديق قديم لابيها وانه سافر على الفور.

وتسلق "لوبين" احد الحبال حتى إذا حاذى رأسه سياج اليخت ربض في مكانه ساكناً لا يتحرك كانه قطعة من الجماد مصيخاً اذنيه للسمع .

ولكن السكون لبث يسود المكان ، فلم يسمع "لوبين" وقع اقدام تجري ولا جلبة او همسات ، فبعد بضع دقائق من التربص والترقب ايقن ان ليس هناك من احس بامره ، فما كان منه إلا ان رفع جسمه قليلا وتخطى سياج اليخت فصار على ظهره وفي خطوات سريعة بلغ غرفة الآلات فوقف مستترا في مظلتها .!

ورأى على مقربة منه ذلك الشيء الضخم الذي رآه بالمنظار من يخته مغطى بالقماش قدنا منه ودس يده بين فرجات القماش فاصابت أسلاكا وحبالا ومواسير من المطاط . ثم رأى هذه المواسير تمتد حتى إذا بلغت غرفة الآلات الفاها ملفوفة على عجلة هناك وعرف على الفور أن هذا "الشيء" عبارة عن خطاف ميكانيكي هائل يمكن أن يدلى إلى قاع البحر فينطبق على اي شيء هناك .. ينطبق على حطام سفينة .. اوعلى صندوق مملوء بالذهب فيرفعه إلى سطح اليخت .

هز "لوبين" راسه وقال يخاطب نفسه :

- إن في هذا ما يدعم ما ذكرته "جوان" .! وليس هناك من يمكن أن يرتاب بعد هذا في أن "فون بوهيم" على راس لصوص السفن الغارقة .

وفي هذه اللحظة بالذات سمع "لوبين" صوت باب يفتح في نهاية اليخت واضاء النور المكان فوقع في روعه انهم كشفوا امره فجاءوا للقبض عليه .. وامتدت يده إلى مسدسه المعلق في منطقته، ولكنه ما لبث أن ادرك ان مصابيح اليخت كلها اضيئت فعرف انه ليس مقصوداً بهذه الإضاءة ورجح لديه أن "بوهيم" يريد ان يطوف اليخت بضيوفه ليفرجهم عليه .

لم يكن هناك مكان يتوارى فيه ، وعلى حين فجاة . وفي خطوات

سريعة مشى إلى غرفة الآلات فامسك بمظلتها ورفع جسمه في الهواء ثم طوح ساقيه . وفي حركة بهلوانية كان رابضا فوق سطح الغرفة منبطحا على وجهه يرقب القادمين دون أن يروه .!

الفصل العاشر

كان "فون بوهيم" حريصاً على ان يحيط مدعويه طوال السهرة بالأنس والبشاشة والتلطف . وكان يولي "جوان بارلو" عناية خاصة ولا ينفك يفيض عليها من ابتساماته ورقته مانفى كل شك من نفسها وما جعلها تعتقد أنه لم يرتب في امرها .

ولكنها ما لبثت أن ادركت خطاها بعد قليل من الوقت .. كانت خطة "فون بوهيم" ترمي إلى أن يراقبها خلسة ويتغافل عنها كما يتغافل القط عن الفار حتى يحسب هذا ان القط لم يره . كان سلوكه هو وصاحبه "شلنبرج" إزاءها سلوكا رقيقا ظريفاً في ظاهره .. ولكنها كانت تشعر شعور اليقين انهما يراقبانها ويتفرسان فيها ويزنان كل حركة من حركاتها ويرقبان كل إيماءاتها .

لم يكن الخطر كامناً فيما يقولان او يفعلان وإنما كان في صمتهما .. كان في هذه الابتسامات المفتعلة التي ترتسم على الشفاه دون أن تتالق بها العيون .. كان في هذه الضحكات التي تنفرج عنها افواههما دون أن تهز قلبيهما .. كانا طول الوقت يرقبان .. ويدرسان .. ويتربصان .. كل إيماءة منها .. أو نظرة .. او حركة .. كانت موضع الدرس والفحص .. وحتى نبرات صوتها كانت محلا للتحليل .

كانت خطتهما ترمي إلى أن يجعلاها فريسة لتصوراتها واوهامها .. تركاها تفكر .. وتتصور .. وتتوهم .. حتى إذا تحطمت اعصابها امام هذه المراقبة الخفية امكنهما ان يتبينا في وجهها ما يؤيد ريبتهما او ينفيها .

ولما انتهوا من العشاء اقترح عليها "فون بوهيم" أن يفرجها على اليخت فانبرى "شلنبرج" يقول :

– أما انا فاوثر أن أبقى هنا اتبادل الحديث مع الأستاذ .

طاف بها "بوهيم" ارجاء اليخت .. وما ترك غرفة إلا ادخلها إليها شارحاً مزاياها وفوائدها بصوته الأجوف الرنان المضطرد النغمات حتى إذا خرج بها إلى ظهر اليخت شعرت كانما خرجت من ظلام السجون إلى نور الحرية .

تابط "بوهيم" ذراعيها وهو يقول :
- إن الجلوس على ظهر اليخت في ضوء القمر نعمة كبرى .
للمرة الأولى كان في صوته نبرة خفيفة تدل على الانفعال .
وهتفت الفتاة قائلة :
- ما اجمل ان يقتني المرء يختاً فخماً كهذا ..!
فقال "بوهيم" على الفور :
- هذا إذا كنت موجودة فيه .. اما اليخت دونك فيصبح موحشاً لا يساوي شيئا .
- اتظن ذلك .؟
فقال في صوت اشتدت نبراته :
- اسمعي يا "جوان" . إني رجل غني واسع الثراء .. وصدقيني أن في وسعي ان اجمع في هذا اليخت مئات من الناس اقيم لهم افخر المادب والسهرات دون أن تنضب اموالي . ولكني لا افعل ما يفعله اصحاب الملايين عادة .. اتعرفين انك اول امراة وطئت بقدميها هذا اليخت .؟
فقالت الفتاة في غير اكتراث :
- اتاسف على ذلك ؟
فكان جوابه :
- نعم :
ثم أردف قائلا :
- نعم .. إني آسف على ذلك لأن الرجل إذا منح المراة ركناً صغيراً منزوياً في قلبه فمعنى ذلك انه يمنحها الحق في أن تاخذ من قلبه ما شاءت .! إذا فتح الرجل لامراة ثغرة في تفكيره فمعنى ذلك انه يطلب إليها أن تشغل ذهنه آناء الليل وأطراف النهار .!
فابتسمت "جوان بارلو" وقالت :
- إنك تتكلم في لهجة الرجل الذي أياسه الحب .
- إني ما احببت في حياتي ..
وضغط الكلمة الأخيرة بطريقة يفهم منها سامعه انه أراد أن يقول شيئا ثم بتر جملته .
ونظرت إليه الفتاة كانما تساله إن يتم جملته وحدجها "فون بوهيم"

بنظرة نفاذة وقال :

- لقد مضت اعوام طويلة وأنا أطرد النساء من حياتي .. ما سمحت لامرأة قط بان تسيطر على قلبي حتى لا اضع نفسي تحت رحمتها .. كلما أرادت امراة أن يكون لها شان في حياتي اشحت عنها بوجهي ونبذتها .. ولكنك جئت اخيراً واغريتني ودفعت بي إلى أن اكون مجنوناً .. لقد عرفت انك تريدين أن تشاهدي يختي فسمحت لك بما لم أسمح به لسواك .. إن حضورك إلى اليخت في نظرك مجرد لهو وتسلية.. أما في نظري فهو بدء الحياة .. وبدء النعيم .. بسماحي لك بالحضور خرجت على قاعدة سرت عليها مدى الحياة . فالآن وقد حضرت لا اريد لك أن تعودي.!

فقالت الفتاة في صوت هادىء النبرات :

- ولكنك ستعدل عن رايك في الصباح .

ثم مشت أمامه وهي تقول :

- وفضلا عن هذا فما أحسبك ترضى بان تنسى سمعتي وشرفي .

فهتف في صوت متهدج قائلا :

- إن الشرف فضيلة عند المساكين الذين لا يملكون في حياتهم سواه.! إن لدي من المال ما يكفي لأن ينسى المرء ما يقوله الآخرون أو ما يفكرون فيه .. فإذا شاطرتني هذا المال لم تعودي تحفلين بما يقال عنك .

- إلا ما تقوله عني نفسي !

- لا تكوني بلهاء .. إني أعرف أنك امرأة من النوع الذي لا يؤمن إلا بالحقائق فلا تسلمي نفسك إلى الأوهام أو ضلال العواطف الكاذبة .

وأمسك بذراعيها وحدق إلى وجهها وهو يقول :

- إنك المرأة الوحيدة التي استطاعت أن تهزني .

واجتذبها إلى صدره فاغلقت عينيها قبل أن يطبق بفمه على شفتيها! كان فمه متصلباً .. وقبلته تبعث الرعدة في أوصالها .

وبعد لحظات تنحى عنها وعيناه تتقدان كانهما جمرتان . وقال في صوت أجش :

- ستبقين يا "جوان" .

فابتعدت عنه وهتفت قائلة :

– لا ادري .. لقد فاجاتني بالسؤال فدعني اتدبر الأمر . سلني غدا من فضلك .

– إني مسافر في الغد .

– مسافر ؟

– نعم ؟

– نعم .. إلى ميناء سانت بيتر .. وكنت أعلل نفسي بان ترافقيني .

وساد صمت قصير قطعته الفتاة بقولها :

– أعطني سيجارة من فضلك .

– لقد نسيت علبتي في الغرفة .. فلنرجع .

وفتح بابا قريباً منهما وتنحى عن طريقها لتدخل .. فقالت :

– عجبا .؟ إني لم أر هذه الغرفة بعد .

– كان في نيتي أن أريها لك الآن .

كانت الغرفة كبيرة المساحة وقد انتظمت جوانبها المقاعد والرفوف الملأى بالكتب والأوراق وتوسطتها منضدة كبيرة نشرت عليها خريطة تشغل رقعتها .

على انهما ما لبثا فيها برهة حتى طرق الباب فقال "فون بوهيم" بغضب :

– من هناك ؟.. ادخل .!

ودخل الخادم يدعوه إلى مقابلة الربان فاستاذن منها "بوهيم" قائلا :

– اسمحي لي بلحظة واحدة يا عزيزتي . وساعود إليك على الفور .

وما انصفق الباب عليها حتى أخذت تحدث نفسها بان هذه هي اللحظة التي كانت ترجوها . فمنذ حضرت إلى اليخت لم تخل إلى نفسها دقيقة واحدة .. فهل تغتنم الفرصة لتفتش في هذه القاعة عن دليل يؤيد شكوكها ويثبت التهمة ضد "فون بوهيم" ؟

ولم تكن تدري عن اي شيء تفتش على وجه التحقيق .. ولكنها كانت تعلم علم اليقين ان ثلاثة من رجال انجربيك" لقوا حتفهم بسبب هذا الفضول .. فهل تقدم حتى ولو ضحت بحياتها ..؟

ودنت من رفوف الكتب واخذت تنقل بصرها بينها فالفتها مؤلفات تتناول الفلسفة والملاحة والهندسة البحرية والقوانين الدولية . الخ كما

وجدت مجموعة من المؤلفات عن الجرائم ومذكرات واقعية كتبها بعض الجواسيس .. كما وجدت روايات بوليسية من النوع الممتاز .

وانتقلت بعد هذا إلى الخريطة الكبيرة المنشورة على المنضدة التي تتوسط الغرفة فانحنت فوقها واخذت تنعم فيها النظر .

كانت الخريطة تتناول بحر الشمال وبحر المانش والجزائر الكثيرة المنبثة فيهما . ورات خطا يصل بين دينار وميناء سانت بيتر وفيه علامات خاصة تميز اتجاه الرياح .. وإلى جانب الخط ارقام كتبت بخط دقيق تبين الأبعاد والمسافات المختلفة .

وقالت في نفسها :

- إنها خريطة عادية لا شيء فيها يدعو إلى الشك .

وعلى حين بغتة لفت بصرها علامة حمراء .. لم تكن مماثلة للعلامات الأخرى الحمراء المنتشرة في ارجاء الخريطة وإنما كانت ذات ميزة خاصة إذ إنها عبارة عن دائرة بالحبر الأحمر تتوسطها نقطة سوداء . شرق جزيرة سارك . وإلى جانب الدائرة أرقام تبين المسافات كتبت بخط دقيق .

اشتدت قبضتها على حقيبتها محاولة ان تستعيد هدوءها وتبدد ما عراها من الاضطراب .. لقد خيل إليها أن قلبها يكاد يثب من صدرها .. في هذا المكان غرقت الباخرة . وهذه الأرقام تبين بدقة تامة الموضع الذي استقر فيه الحطام .

وكانت "جوان بارلو" تعرف اهمية تسجيلها هذه الأرقام إذ إن فيها الدليل القاطع على أن "فون بوهيم" يهتم بالسفن الغارقة .

وكانت تعلم انها لا تحمل ورقة او قلما .. ولكن لفت بصرها ذلك القلم الرصاص الموضوع على المنضدة .. وتلك الأوراق الصغيرة القريبة منه.

وهمت يدها بان تلتقط القلم . ولكنها ارتعدت .. وداخلها شعور من الخوف .. وخطر لها فجاة ان من المحتمل .. ان يكون هناك فخ منصوب لها .. وان القلم والأوراق إنما وضعت امامها عمدا .. وان "فون بوهيم" ما تركها الا ليمهد لها هذه الفرصة .. واكبر الظن انه الآن يرقب حركاتها من مكان خفي .. فإذا ما تناولت القلم وسجلت الأرقام كان في ذلك الدليل الحاسم على انها تتجسس عليه ..

من المحتمل انه استراب في أمرها .. ولكن البرهان لا يزال يعوزه . فإن هي سجلت الأرقام فقد هيأت له البرهان المنشود .

لم تلتقط "جوان بارلو" القلم وإنما ابتعدت عن المنضدة وتناولت سيجارة أشعلتها وارتمت على أحد المقاعد تدخن كأنها ما نظرت إلى الخريطة إلا عفوا بدافع الفضول العادي دون أن يكون هناك ما يثير في نفسها اهتماما خاصا بها .

ولما فتح الباب بعد لحظات ودخل "فون بوهيم" كان هدوءها قد عاودها فاستقبلته بابتسامتها البريئة الساحرة .

وعند دخوله لم يرتكب تلك الغلطة التي كان ممكنا أن يقع فيها سواه وهي أن يتفرس فيها ويتأمل وجهها .. وإنما اتجه مباشرة إلى دولاب قائم في ركن القاعة ففتح درجاً فيه تناول منه مسدسا وهو يقول :

- اتسمحين لي بأن أغيب عنك لحظة أخرى ..؟

- كما تشاء .. وسأبقى في انتظارك حتى تعود .

فتمتم "فون بوهيم" يقول وهو يسير إلى الباب :

- لقد لمح أحد البحارة شخصا غريبا يتسلل في أرجاء اليخت كما حدث في الليلة الماضية .. ولكنه لن يفلت منا في هذه المرة .

ولوح بمسدسه باسما ..!

الفصل الحادي عشر

ما سمعت "جوان بارلو" كلمات "بوهيم" حتى وثب قلبها في صدرها واشتدت ضرباته وخيل إليها ان عينيها غامتا وان الدنيا اخذت تدور والاصوات تطن في اذنيها .. ولكنها استطاعت في غمضة عين ان تسترد ثباتها وقالت :

- حقاً ..؟

ولكن خيل إليها ان صوتها صادر من اعماق هاوية سحيقة ، وانه مجرد صدى أجوف رنان . وحاولت أن تبتسم ولكنها كانت تعرف ان ابتسامتها مفتعلة باهتة .

لقد حلت اللحظة الرهيبة ومحال أن تفلح في اتقائها أو سترها ، ولو أن "فون بوهيم" نظر إليها في هذه اللحظة لكشف له اضطرابها ما تخفي من امرها ولتبين على الفور أنها تتجسس عليه.

هذا الطارق الليلي لابد ان يكون هو "ارسين لوبين" .. وسيفاجئونه حتما .. وسيطلقون عليه النار .. ويردونه قتيلا .

وكان هذا هو مثار فزعها وخوفها .

وقال "فون بوهيم" في صوت هادىء :

- ليس ثمة ما يدعو إلى انزعاجك .

فنظرت إليه وتلاقت نظراتهما دون أن تختلج عيناها وقالت :

- ولكنني غير منزعجة .. إنه خبر مثير .. ولكن ما الذي يجعلك هدفا لمثل هذه الزيارات الليلية ؟.

فهز كتفيه في غير اكتراث وقال :

- اغلب ظني أن هذا الطارق من لصوص البواخر اغراه جمال اليخت فظنه حافلا بالتحف والنفائس .. وسنكتشف الحقيقة على اية حال .

- دعني ارافقك .

- ولكن يا عزيزتي ...

- إني لست خائفة .. كيف اخاف وانا في حمايتك ؟. وسالزم الصمت التام حتى لا افسد بحماقتي هذه المطاردة . اسمح لي بان اصحبك فما كنت لأدع هذا المشهد المثير يفلت مني .

- فليكن .. تعالي معي .. ولكن سيري خلفي .

اطفأ نور القاعة وخرجا إلى ظهر اليخت وكان ايضا مطفأ الأنوار . ولما بلغا غرفة الآلات وقفا عندها .. وهمس "بوهيم" في اذنها يقول :

- إنه لا يزال في مكانه .. ها هو ذا ! .

اومأ باصبعه إلى شبح يتراءى في الظلام ، وقد استند إلى جدار إحدى الغرف محاولا تضليل البصر بثباته وجموده ، ولكنه كان واضح المعالم بما لا يدع مجالا للشك في انه رجل يريد ان يستر نفسه عن العيون .

ورفع "فون بوهيم" مسدسه .

وكانت "جوان بارلو" إلى جانبه ترتعد وترتعش وقد اضطرب ذهنها واستولى عليها الخوف . كانت فريسة لعذاب نفسي هائل . لم تكن تدري اية خطة ينبغي أن تتبع : اتظل صامتة مكتوفة اليدين وهي ترى "ارسين لوبين" يقتل امام عينيها .؟ ام تصرخ لتنبهه فتكشف من سرها ما اخفت فيعرف "بوهيم" انها شريكة لـ"لوبين" وانها إنما توددت إليه وجاءت إلى يخته بغية التجسس عليه .؟

كان الموقف رهيباً دقيقاً .

وعلى حين بغتة ومضت في ذهنها فكرة نيرة .. الا يحتمل ان تكون حكاية هذا الطارق الليلي ملفقة عمداً بقصد دفعها إلى مثل هذا الموقف.! ما الذي يدريها أن "فون بوهيم" نصب لها هذا الفخ حتى يقطع الشك باليقين .؟ يحتمل أن يكون هذا الطارق بحارا امره "بوهيم" بتمثيل هذا الدور ، وستكون الرصاصة التي ستنطلق خرطوشة فارغة حتى يتبين من موقفها حقيقة ما تبطن .

ولكن هذا أيضا مجرد وهم وتخمين .. نعم .. من المحتمل ان يكون هذا الشبح بحارا يمثل دورا مقصودا . ومن المحتمل ايضا ان يكون هو "ارسين لوبين" . فما العمل ؟ ما العمل .؟

احتشد في راسها عشرات من الخواطر ..! اتعطس .؟ اتسعل.؟ اتقع متظاهرة بالإغماء .؟ فيكون في اية حركة من هذه ما ينبه "لوبين" (إذا كان هو "لوبين") إلى الخطر المحدق به.؟ ولكنها كانت تعلم ان "فون بوهيم" لم يكن ينتظر منها إلا اية حركة من هذا القبيل لكي يتبين حقيقة

أمرها .

وظل "بوهيم" مصوبا مسدسه إلى الشبح محاولا إحكام الهدف ، فهو رجل لا يحب أن تطيش رصاصة يطلقها .

ولكن "ارسين لوبين" لم يكن غافلا عما يجري .

لقد تتبع كل شيء مما حدث منذ البداية . كان رابضاً فوق سقف غرفة الآلات حين دخل "بوهيم وجوان" قاعة المكتبة فزحف حتى بلغ سقف تلك القاعة ، ومن خلال الكوة رأى الخادم وهو يطرق الباب وسمعه وهو يخطر سيده بأن الربان يرغب في مقابلته، ثم رأى "جوان" حين خلت إلى نفسها في القاعة وقد همت بأن تلتقط الورق والقلم لتكتب شيئاً رأته مدونا على الخريطة فأثار انفعالها واهتمامها .. ثم رآها وقد عدلت عن هذه النية فحمد لها هذه الحكمة إذ كان يعرف أن "بوهيم" يراقبها خلسة من ثقب في جدار الغرفة .. ثم رأى "بوهيم" وقد عاد إليها ليتناول المسدس وسمع ما ذكره لها عن الطارق الليلي الذي شوهد يجوس خلال اليخت .

وها هو ذا "فون بوهيم" يصوب مسدسه إلى الشبح ويوشك أن يطلق النار ..!

وقد رأى "لوبين" الشبح كما رأته "جوان بارلو" ..

وفهم "لوبين" كل شيء على حين أن "جوان" لم تفهم شيئا .. كانت الفتاة تظن أن الشبح ما هو إلا بحار يمثل دورا بقصد نصب فخ لها .. أما "لوبين" فكان يعرف أن الشبح طارق ليلي حقيقي .. فقد تذكر ذلك القارب الرياضي المستطيل الذي كاد يصطدم به وهو يسبح إلى اليخت.. لقد اتجه القارب إلى اليخت.. ومن المؤكد أن هذا الشبح هو صاحب القارب .

ولكن "جوان" لم تر القارب .. وكان "لوبين" يعرف أنها تعتقد أنه هو الشبح .. وكان يشعر بالعذاب يفترس صدرها .. وكان لابد له أن ينقذها من هذا العذاب .. ومن كشف سرها : فقبل أن يطلق "بوهيم" مسدسه . وقبل أن تصرخ "جوان" .. وثب "لوبين" في خفة الفهد وانقض على "بوهيم" الذي كان واقفا عند غرفة الآلات على قيد خطوة منه فضرب بقدمه اليمنى ذراع "بوهيم" وأطار المسدس من يده على حين ضرب

راسه بقدمه اليسرى فاوقعه على الأرض..!

وفي هذه اللحظة تحرك الشبح وجرى إلى سياج اليخت وقفز إلى البحر .. اما "لوبين" فلوح بيده للفتاة وارسل إليها قبلة على اطراف أصابعه ثم وثب بدوره إلى الماء ..! وكان حريصا على أن يجعل قفزته تستقر في الماء على مرمى ذراع من القارب الرياضي المستطيل الذي استقله الشبح .

امسك "لوبين" بطرف القارب وقال في صوت هادىء :

- اظن اني نبهت عليك بان تغادر فرنسا .

فاجابه الرجل الآخر في صوت جاف :

- إني لا اتلقى اوامري منك .

- ولكنها اوامر مس "بارلو" يا "مندرسن" .

فدار "مندرسن" بقاربه محتميا بيخت آخر كان راسيا على مقربة من المكان وقال :

- إن مس "بارلو" مجنونة .. لقد خلبت عقلها بنظراتك الساحرة فافقدتها الرشد .. فهي غير مسؤولة عما تقول أو تفعل . ومن واجبي أن ابقى حيث انا .

فتمتم "لوبين" يقول :

- لكي تقتل حيث انت ..! في المرة الثانية لن اتدخل لإنقاذك والواقع اني ما تدخلت في هذه المرة إلا لانقذ "جوان" .

فقال "مندرسن" في غضب :

- دع القارب .!

فرفع "لوبين" يده عنه وتركه يتابع طريقه وهو يسال نفسه عما يمكن أن تؤدي إليه حماقة "مندرسن" بتدخله الذي لا يدل على الفطنة أو الحذر .. إنه بهذه الحماقة كفيل بأن يفسد خطة "لوبين" .. وكفيل بان يقضي على نفسه في الوقت ذاته .

وما كاد "لوبين" يبلغ يخته ويستقر على ظهره حتى تناهى إلى سمعه دوي القارب البخاري الملحق باليخت بلومبرج وهو يشق طريقه في الماء وقد أرسل امامه نورا كشافا يدور في أرجاء المكان .

استقر النور الكشاف على يخت "لوبين" في اللحظة التي استطاع

فيها أن يثب إلى غرفته متواريا خلف الباب فلم يره أحد.

ظل القارب البخاري في طريقه .. ومن خلال الكوة رأى "لوبين" النور الكشاف يقع على القارب الرياضي المستطيل الذي يجلس فيه "مندرسن".

اتجه اللنش إلى مندرسن" حتى صار على قيد خطوات منه . وارتفع صوت الرجل الذي يتولى قيادة الدفة قائلا :

- الم تر أحدا يسبح في هذه الناحية ..؟

- بلى .. لقد رأيت رجلا يسبح متجها إلى ناحية الشرق .

وانطفأ النور الكشاف .. وعلى الأثر سمع "لوبين" صوت ضربة عنيفة كأنما صدرت من مجداف أصاب رأس رجل ..! وأعقب هذا سقوط جسم على أرضية قارب .

فهم "لوبين" الحقيقة .. عندما سقط النور الكشاف على مندرسن" عرفوا من ابتلال ثيابه أنه هو الطارق الليلي الذي تسلل إلى اليخت ثم وثب في الماء .. وقد ظن الغبي أنه خدعهم بقوله إنه رأى سابحا يتجه إلى الشرق ..! وكان عقابه على هذه الغباوة أن ضربه أحد رجال اللنش بالمجداف على رأسه فلما سقط مغشيا عليه حملوه إلى لنشهم ومضوا به راجعين إلى اليخت ..!

وللمرة الثانية شعر "لوبين" بأن واجبه يحتم عليه أن ينقذ "مندرسن".

الفصل الثاني عشر

عندما وصل القارب البخاري إلى اليخت كان "فون بوهيم" في انتظاره ومعه ضيوفه .

وقال "بوهيم يسال احد رجال اللنش :

- الم تهتدوا إلى شيء ؟

- كلا .

وكان الرجل الذي يتولى الدفة هو الذي القى إليه بهذا الجواب.. ولكنه غمز له بعينه خلسة وارسل بصره إلى سجادة ملفوفة موضوعة في قاع اللنش . وفهم "بوهيم" انهم اهتدوا إلى الطارق الليلي وانهم قبضوا عليه ولفوه في السجادة حتى لا يراه ضيوفه .

وتكلم الأستاذ "ماركو" قائلا :

- هذا شيء يؤسف له . لو انكم طفتم بالمكان جيداً لعثرتم عليه بلا شك .

ثم التفت إلى "بوهيم" قائلا :

- اتحب ان نعاود البحث بانفسنا ؟

- لا داعي لذلك . فالاختفاء ليس عسيرا والشاطيء ليس بعيدا عنا .

ثم تحول إلى "جوان بارلو" قائلا :

- يؤسفني ان يكون هذا الحادث قد عكر علينا صفونا .

وشعرت بأن صوته على غير ما تعهد . وايقنت انه ادرك من اضطرابها وفزعها ما كانت تخفي .. وانه بهذه الكلمات إنما قصد إلى معنى اعمق وابعد مما تحمله الالفاظ .

ولما رجعوا إلى قاعة الاستقبال قدم إليها "بوهيم" كاساً من الشراب وهو يقول :

- حتى تستعيدي ثباتك . فإنه مما يؤسفني ان يكون هذا الحادث قد اهاج اعصابك واثارها .

فاجابته بقولها :

- إنه لم يثر اعصابي ولم يزعجني .. كل ما هنالك انه مغامرة طريفة.. ولكني متعبة واحب ان ارجع إلى فندقي .

امر "بوهيم" بإعداد القارب البخاري وتولى بنفسه الذهاب بها إلى الشاطئ . وقال لها والقارب يشق لنفسه طريقا في البحر .

- اترافقيننا غدا ؟

فهزت راسها قائلة :

- إني متعبة الاعصاب كما ترى فليس في وسعي أن احزم رايي الآن.. افسح لي بعض الوقت .

- ولكن الوقت ضيق كما ترين إذ إننا سنرحل في الغد .

- أعلم ذلك ، ولكن لا تنس انك تسالني امراً عظيماً .. وليس من الحكمة أن القي إليك بالجواب في غير تدبر او روية . إنك تريد أن تشتري حياتي .. وقد تكون حياتي في نظرك تافهة لا قيمة لها .. ولكنها عندي كل شيء . فدعني أفكر وأتروى .

- ولكنك ستحضرين .

- لست أدري .. إني أرى انك تعتقد أن هناك أشياء كثيرة لا تقبل نقضا أو جدلا .

- إنك ستحضرين .

ووضع يده على كتفها .. وارتعدت للمسته على الرغم منها .. وخيل إليها أن في هذه اللمسة الرهيبة خطرا أشد هولا من الموت.

وتمتمت تقول :

- نعم ساحضر .. ولكن أرجوك الا تلمسني الآن .

ابتعد عنها "بوهيم" ولم يوجه إليها كلمة واحدة حتى أنزلها على الشاطئ إذ قال لها :

- سنلتقي إذن في منتصف الحادية عشرة .. وإذا شئت أوفدت إليك احد خدمي ليساعدك على حزم حقائبك .

- كلا .. لا داعي لذلك .. طاب مساؤك .

ورفع يدها إلى شفتيه فقبلها ثم دار على عقبيه وانصرف .

ولما رجع إلى اليخت سال الرجل الذي كان يقود اللنش عندما ذهب رجاله في أثر الطارق الليلي :

- أين وضعت الأسير يا "كارلوف" ؟

- في الغرفة رقم ٩ .. وهو مقيد مكمم الفم .

- اعرفت من يكون ؟

- لا .. فما رايته قبل الآن ولكن يحتمل ان يكون قد رآه احد رجالنا الذين يتولون المراقبة على الشاطئ .

لم يقل "فون بوهيم" شيئا وإنما قصد إلى قاعة الاستقبال فالفى الأستاذ "ماركو" جالسا وحده يطالع إحدى الصحف .

نحى الأستاذ الصحيفة عن عينيه وهو يقول :

- ليت شعري هل يرجى صعود آخر لأسهم مناجم الذهب ؟ فإن لدي كمية منها احب أن ابيعها باحسن سعر ممكن .

- سل "شلنبرج" فهو خبير بالمسائل المالية .. ولكن اين هو ؟

- لا أدري .. لقد انبأني انه ذاهب إلى غرفة الآلات ليتاكد من ان الوقود كاف لرحلة الغد .

وادرك "فون بوهيم" أن "شلنبرج" لم يذهب إلى غرفة الآلات، وإنما ذهب إلى المقصورة رقم ٩ ليستجوب الأسير . واستحمق منه هذا التعجل الذي لا داعي له .

حقيقة إن الأستاذ "ماركو" خالي الذهن مما يجري وراء الستار ولا تداخله ريبة في نية "فون بوهيم" . وحقيقة إن الغرفة رقم ٩ بنيت خصيصا لمثل هذه الأغراض وشيدت جدرانها بطريقة علمية بحيث لا ينفذ منها الصوت حتى ولو أطلقت رصاصة في داخلها .. ولكن ليس من الحكمة أن يترك "شلنبرج" الأستاذ "ماركو" وحده ويمضي إلى الأسير فقد يخطر للأستاذ ان يتمشى في أرجاء الباخرة . وقد تقوده قدماه إلى الغرفة السرية .

ولبث "بوهيم" جالسا مع الأستاذ حتى نهض هذا واقفا مبديا رغبته في أن ياوي إلى مخدعه .

وعند ذلك قصد "بوهيم" إلى الغرفة رقم ٩ وقد صح عزمه على أن يرغم الأسير على الكلام وينتزع منه أسراره ولو اضطر إلى كيه بالحديد المحمي .

دق الجرس المثبت في باب الغرفة .. ولكن "شلنبرج" لم يبادر إلى فتح الباب .

وأرسل بصره إلى ثقب القفل فوجد أن المفتاح موضوع فيه من

الخارج .

أدار المفتاح .. وهم بالدخول . ولكنه شعر بأن أصابعه تلوثت بمادة لزجة لينة فعجب للأمر ونظر إلى يده على ضوء المصباح المثبت في سقف الممشى فرآها ملوثة بالدماء !

دفع باب الغرفة ودخل فالفاها غارقة في الظلام .. وامتدت يده على عجل إلى الزر الكهربائي فسطع النور في المكان .

وهنا رأى "فون بوهيم" منظرا عجيبا : كان هناك حبال ممزقة ملقاة على الأرض . وفي وسط الغرفة بركة من الدماء .. وإلى جانب البركة كان "شلنبرج" طريحا على الأرض وهو جثة هامدة ؟

أو هذا على الأقل هو ما خيل إلى "فون بوهيم" .

لقد ظن في أول الأمر أن "شلنبرج" جثة هامدة .. ولكن الواقع أن الدماء التي كونت إلى جواره بركة صغيرة إنما نزفت من أنفه وأسنانه. وما كان جموده وسكون حركته إلا لأنه كان غائبا عن الوعي !

الفصل الثالث عشر

عندما انقذ "لوبين" البوليس السري "جون مندرسن" من الغرفة السرية كان المسكين لا يزال فريسة لتلك الغيبوبة الطويلة التي حلت به إثر الضربات التي كالها له رجال "بوهيم" .. فلما نقله "لوبين" إلى يخته اضطر أن يسحبه وراءه في الماء سحبا . ولما بلغ اليخت خف خادمه "بيير" إلى مساعدته على انتشاله .

وقال "بيير" يسأله :

- من هذا ؟

- سمكة حمقاء .. أو بعبارة اخرى بوليس سري لا يفهم من الدنيا شيئا .. ومما يؤسف له انه لا يحبني .. لقد حاول أن يموت مرة الليلة فلما انقذته ابى أن يشكرني .

- وهل هو ميت الآن ؟

- لا ولكنه قريب إلى الموت .. وفي رأسه قطعة ناتئة بارزة في حجم التفاحة .. ولا اظنه سيكون مبتهجا عندما يستيقظ .

طرحا "مندرسن" على ظهر اليخت ونزعا منه ثيابه وعلقاها حتى تجف واخذ "لوبين" يقوم له بعملية التنفس الصناعي حتى دبت إليه الحياة فاخذ يتنفس بانتظام ويتوجع ويتاوه .. ولما فتح عينيه دار بهما فيما حوله ثم تمتم يقول :

- أين انا :

فاجابه "لوبين" في صوت عطوف :

- إنك في يخت آخر . وإلى يسارك الميناء وإلى يمينك البحر . وامامك "ارسين لوبين" .

فحملق إليه "مندرسن" بعينين ترميان بالشرر ثم تمتم يقول :

- هذا ما ظننت .

واقبل "بيير" يحمل اقداح الشراب فتناول "مندرسن" كاسا افرغها في جوفه ثم قال في لهجة خشنة :

- عليك اللعنة ! من الذي طلب إليك ان تاتي بي إلى يختك ؟

- لست أنت على اية حال .

- الم تنبئني بانك لن تتدخل في شؤوني في المرة التالية وانك لن تحاول ان تنقذني ؟
- هذا صحيح .
- وماذا تنتظر مني ؟ اتنتظر ان اجثو على قدميك فاقبلهما شاكرا فضلك مقرا بجميلك ؟
- كلا بالتاكيد .. فإني لا احب شكلك وانت في هذا البنطلون القصير .
وكان البنطلون خاصا بـ"بيير" إذ إن ثياب "مندرسن" كانت لا تزال مبتلة وموضوعة على احد المقاعد لتجف .
وصاح "مندرسن" في صوت حانق :
- إني لم اطلب إليك ان تنقذني فلا تنتظر مني شكراً .. وإذا كنت تتوقع اني ساعتبر انك اسديت إلي جميلا فانت مخطىء في هذا الظن . اتظن انك بمثل هذه الأعمال تستطيع ان تخدعني وتتقرب إلي كما خدعت "جوان بارلو" وتقربت إليها ؟ كلا .. إني لست من هذا الطراز الذي يخدع بسهولة .. يمكنك ان توثقني بالحبال وتعيدني إلى اليخت بلومبرج حيث نبدا من حيث كنا .
فنظر إليه "لوبين" طويلا ثم قال :
- هذا اقتراح جدير بالتفكير .. خبرني .. هل اشتغلت مع "انجربيك" طويلا ؟
- عشرة أعوام .
- إذن فلا باس .
- لا باس باي شيء ؟
- لا باس بان اقتلك او اسلمك إلى "فون بوهيم" ليقتلك .. فلن يحزن موتك "انجربيك" إذ لا شك انه سئم وجهك الدميم وقد رآه عشرة أعوام كاملة .
- حقا !
- نعم .. واعلم انك إذا وقفت في طريقي مرة اخرى فساسدد إلى وجهك لكمة تطيح باسنانك كلها فلا يكون لك من طعام إلا اللبن.. على أن تتناوله من بزازة !
وساد صمت قصير قطعه "لوبين" بقوله :

- والآن أصغ إلي .. للمرة الأخيرة يجب أن تعلم انهم يعدون لك قبرا مزينا بالورود والأزاهير .. ولكن لا أريد لك ان تدفن الآن .. وليس معنى هذا ان امرك يهمني إذ كل ما هنالك اني اخشى ان ينكشف امر "جوان" بوقوعك اسيرا بين يدي "بوهيم" .. لم يكن في نية "بوهيم" ان يطلق عليك النار .. وإنما كان يعنيه اكثر من ذلك ان يرى تاثير الحادث في نفس "جوان" .. وهذا هو السبب الذي دفعني إلى إنقاذك في المرة الأولى اما في المرة الثانية فانقذتك لأنهم كانوا أحرياء بان يعرفوا شخصيتك عندما يرون وجهك فيذكر لهم جاسوسهم انك زرت "جوان" في غرفتها في الفندق . وإذا حدث هذا فقد انتهى أمر "جوان" وقضي عليها القضاء المبرم . فرأيت أن اخف إلى إنقاذك على الفور حتى لا اتيح لهم فرصة يعرفونك فيها .. وفضلا عن هذا فإني أعرف أن "فون بوهيم" يحب ان يكوي خصومه بالحديد المحمي .. وانا رجل اكره ان اغط في نومي وانا أعرف أن هناك غبيا مثلك سيكوى بالنار .. فلا تتوهمن اني اهتم بك بصفتي ابا رحيما وبصفتك طفلا ساذجا غريراً !

فنظر إليه "مندرسن" ساخرا وقال :

- ولكنك فيما أرى تحب أن تكون ابا لـ"جوان" !

- هذا شاني .

- وشاني انا ايضا .

ثم أردف في صوت صاخب قائلا :

- اسمع يا "لوبين" .. إني أعرفك حق المعرفة .. إنك لص معروف . ولا يمكن أن تكون رجلا شريفا .. وإذا كنت لا تزال حرا طليقاً حتى اليوم فإنما يرجع ذلك إلى براعتك في تضليل رجال البوليس وحرمانهم من الأدلة التي تثبت سرقاتك .. يحتمل انك خدعت بعض الناس بما تدعيه من حبك للفقراء ونقمتك على الأغنياء وإنك إنما تاخذ من هؤلاء لتعطي أولئك .. ولكنك لن تخدعني بهذه الأباطيل .. إنك يا "لوبين" لا تهتم بعمل إلا لكي تنال من ورائه مالا .. وما اهتمامك بمسالة السفن الغارقة إلا لأنك تطمع ان تجني من ورائها الشيء الكثير .

فنظر إليه "لوبين" باسماً وقال :

- وأنت ؟ اتريد أن تقول إنك لا تجني شيئا ؟

- إني اتناول مرتبا قدره مائة دولار في الاسبوع .. ولكن لا مطمع لي غير هذا .

- اتريد ان تقول إنك تعتقد اني لا يمكن ان ارضى بمائة دولار اسبوعيا ..؟

- انت ترضى بمائة دولار ..؟ لو كان الأمر كذلك لاشتريتك على الفور .

- واين اموالك ..؟

- ولم تسال ..؟

- لابيع نفسي إليك .. بمائة دولار في الأسبوع تستطيع أن تستغل ذكائي .. وانت فيما ارى في حاجة ماسة إليه .. فضلا عن اني ساغامر بنفسي في المتاعب . ولعلك لا تجهل اني مطبوع على الولع بالمتاعب .. إني احاول ان اقنعك يا "مندرسن" باني قد اصبحت رجلا شريفا وليس لي من غرض في الحياة إلا أن اكفر عن خطاياي وآثامي .

فقال ""مندرسن" مزمجراً :

- اما انا فاحاول أن اقنعك باني لست غبيا وانك لا تستطيع أن تدير راسي مهما حاولت . فإذا كنت قد استطعت أن تخدع "جوان" فليس في وسعك ان تخدعني .. إني اعرف نيتك يا "لوبين" .. إنك تريد أن تزيح "فون بوهيم" من الطريق لكي تحل مكانه .. وهذه هي كل بغيتك ولن تستطيع ان تزحزحني عن اعتقادي هذا مهما اوتيت من البلاغة والمنطق والقدرة على الإقناع.

تنهد "لوبين" في ياس وقنوط وقد ادرك ان من العبث أن يحاول إقناع الشرطي الأمريكي العنيد بحسن نيته وإخلاصه فقال :

- .. إيه هذا شانك يا "مندرسن" . فليس في وسعي أن اجردك من غبائك .. ولكن مادمت مصراً على هذا الراي بإزائي فعلي أن افكر فيما ينبغي أن اصنع بك .

فقال "مندرسن" :

- لا تهتم بامري .. اعطني ملابسي حتى انصرف .

- المسالة هي : هل ادعك تنصرف ام لا ادعك ؟

فقطب "مندرسن" جبينه وقال يساله :

- ماذا تعني ؟

- اعني إني اكره منك ان تعترض طريقي .. لقد انقذتك مرتين ولا يتسع وقتي لإنقاذك مرة ثالثة .. فإني اريد ان اتفرغ للعمل العظيم الذي شرعت فيه . وتدخلك الاحمق يفسد خططي .. فالراي عندي يا "مندرسن" هو ان احبسك في مكان لا تستطيع منه فرارا حتى لا تقدم على حماقاتك المعهودة .

الفصل الرابع عشر

عندما سمع "مندرسن" كلمات "لوبين" هب واقفا واقترب منه وهو يقول في وحشية :

- ماذا تقول ؟

- اقول إني ساضطر إلى حبسك في إحدى غرف اليخت حتى اطمئن إلى انك لن تعرض نفسك للموت مرة ثالثة .

- انت تحبسني ؟

- نعم .. كما يحبس المجانين .. هذا إلا إذا كنت تحب أن يرسل رجال "فون بوهيم" رصاصة تستقر في أمعائك .

وفي تلك اللحظة فطن "لوبين" إلى صوت مجداف يضرب الماء في خفوت .

وعلى الرغم من اهتمامه بمخاطبة "مندرسن" تنبه ذهنه إلى الحقيقة.. وعرف على الفور أنه صوت قارب يدنو من اليخت .

وفهم "لوبين" كل شيء .

وفي سرعة البرق تحركت يده فاصابت فك "مندرسن" في لكمة هائلة جعلته يترنح ويسقط على الأرض غائبا عن الوعي دون أن تصدر عنه آهة واحدة .. وكانت هذه اللكمة هي الوسيلة الوحيدة للتخلص من جدله ليتفرغ لاستقبال القادمين .

حمل "لوبين" "مندرسن" ودخل مسرعا إلى قاعة الآلات فطرحه على الأرض وهو يقول لخادمه "بيير" :

- خبئه ..! خبئه سريعا ..؟

ثم خرج إلى ظهر اليخت وقذف إلى الغرفة بثياب "مندرسن" التي كانت موضوعة على المقعد لتجف .

وما كاد يفعل هذا حتى كان القارب قد وقف إلى جوار اليخت.. وارتفع صوت أحد رجاله يقول :

- يا رجال "كورسير" ..يا رجال "كورسير" .

فبرز "لوبين" إلى سطح اليخت يمشي في هدوء وسكون كانما لم يقع شيء على الإطلاق وقال :

- من هناك ..؟

فارتفع صوت "فون بوهيم" يقول :

- إنني "بوهيم" .. اتسمح لي بالصعود إلى يختك لحظة واحدة ؟

- بكل ارتياح .

ومد "لوبين" يده إليه يساعده على الصعود فقال "بوهيم" في صوته الأجوف الرنان :

- إنها فيما اعتقد ليست بالساعة المناسبة للزيارة .. ولكني كنت مارا من هنا فتوقعت ان اجدك مستيقظا .

- إني في العادة لا انام مبكرا ..

وقاده إلى قاعة الاستقبال ورفع صوته ينادي خادمه :

قال "بوهيم" وهو يشعل سيجارة قدمها إليه "لوبين" :

- إن ما دفعني إلى زيارتك الآن إنما هو رغبتي في ان اتاكد من ان عزمك صح على مرافقتنا في الغد .. من المحتمل انك ظننت ان دعوتي لك جاءت عفوا ، فجئتك لأؤكد لك انه يسرنا اشد السرور أن تصحبنا .

- إني شاكر لك هذا التلطف .

ولما دخل "بيير" امره بان ياتي بالشراب .. فلما رجع يحمل الأواني والأقداح نظر إليه "لوبين" نظرة ذات معنى فدار هذا قليلا بحيث صار في موضع لا يراه منه "بوهيم" ثم غمز له بعينه غمزة خفيفة فهم منها "لوبين" انه أخفى "مندرسن" .

وقال "لوبين" مسترسلا :

- لقد صح عزمي على الحضور .

- إذن سنكون في انتظارك . وسترافقنا "جوان" ايضا .

- من التي سترافقنا ؟

- مس "بارلو" .. وانت تعرفها بالتاكيد .

كان "لوبين" يصب الشراب في القدح فلم ترتعد يده . وقال في ثبات :

- أظن انني لا أعرفها .. من هي هذه السيدة ؟

- لقد كانت معنا عندما .. اوه معذرة .. لقد خانتني ذاكرتي .. كنت اظن انها كانت معنا عندما التقينا في الكازينو هذا الصباح.. ولكني ذكرت الآن انها انصرفت قبيل أن تحضر انت . ولكنك ستقابلها في

جرنسي .

فابتسم "لوبين" وقال في ابتهاج :

- إذا كانت جميلة كاسمها فارجو ان اقابلها .

- إن اليخت سيقلع غدا في الساعة الحادية عشرة .. ولكن الرحلة لن تستغرق وقتا طويلا فاليخت مزود كما تعلم بالآلات البخارية .. إن يختك فيما اظن لا يستعمل إلا الشراع . ولو اني كنت اصغر سنا مما انا بعشر سنوات او عشرين لطاب لي ان ازود يختي بالشراع وحده .

وكان "لوبين" في خلال هذا الحديث يسال نفسه عن السبب الذي دفع "فون بوهيم" إلى زيارته في مثل هذه الساعة المتاخرة من الليل .. لقد ذهبوا بلا شك إلى الغرفة السرية فوجدوا ان اسيرهم قد فر هاربا فهل ايقنوا ان "لوبين" هو الذي ساعده على الفرار فجاءوا إلى يخته ليتاكدوا من الحقيقة ..؟ ام ان الأمر كله لا يعدو مجرد وهم وريبة ..؟

ودار "فون بوهيم" بعينه في ارجاء القاعة ثم قال :

- إنه فيما ارى يخت جميل .. كم تبلغ حمولته ؟

- خمسة وعشرين طنا .

- إنها حمولة كبيرة .

نهض واقفا واخذ يفحص جدران الغرفة ويتامل نقوش السقف ثم تمتم يقول :

- بديع جدا ! إني احسدك .. ما اجمل ان يملك الإنسان يختا شراعيا من هذا النوع لا يشاركه فيه احد من البحارة .. يقوده بنفسه ويوجهه حيث شاء بنفسه .. لو اني كنت في شبابي لمارست هذه الرياضة البديعة .

ثم اردف قائلا :

- وهل بقية الغرف جميلة كهذه الغرفة ؟

وادرك "لوبين" على الفور غرض "بوهيم" من هذه الزيارة .. لقد جاء عقب فرار "مندرسن" متذرعا بحجة واهية ليطلب رؤية اليخت حتى يطمئن إلى ان "مندرسن" ليس موجودا هناك .

وقال "لوبين" مجيبا :

- نعم إنها كلها غرف مريحة .

وانتقل "بوهيم" إلى غايته فجاة فقال في هدوء :

- اتسمح بان تفرجني عليها ؟ إني لم اكن اتصور ان اجد يختا شراعيا بمثل هذا الجمال !

ثم ضحك وقال :

- ومن المحتمل ان تغريني مشاهدته بان ابتني لنفسي يختا من طرازه .

وجذب "لوبين" نفسا طويلا من سيجارته .

لم يكن في وسعه ان يغير مجرى الحديث . فإن "بوهيم" لابد ان يرتد إلى نفس النقطة التي ينشدها . وما كان في وسعه ان يعتذر عن إجابة هذه الرغبة وإلا اثار الشك في نفس غريمه .

ونظر "لوبين" إلى "بوهيم" فراى له وجها جامدا لا ينم عن شيء.. ذلك الوجه الالماني الساكن الذي يشبه وجه التمثال الذي لا ترتعد فيه عضلة واحدة ولا تختلج عين .

نهض "لوبين" واقفا بدوره وقال مرحباً :

- بكل ارتياح .. تفضل معي إلى غرفة القيادة .

الفصل الخامس عشر

لم يغادر "لوبين" الغرفة مع ضيفه على الفور وإنما أطفأ السيجارة التي كان يدخنها واشعل سيجارة اخرى حتى يفسح لخادمه "بيير" وقتا يتصرف فيه .. كان يعلم ان "بيير" واقف عند الباب لتلقي اوامره .. فلا شك انه سمع الحديث الذي جرى بينه وبين ضيفه . فإذا كان على شيء من الذكاء فسيبادر حتما إلى نقل "مندرسن" إلى غرفة اخرى غير غرفة الآلات .

ونهب "لوبين" بضيفه إلى غرفة الآلات وجعل يفرجه على محتوياتها من اجهزة مختلفة تبين سرعة الرياح . وعمق المياه وقوة التيار .. الخ ولما خرجا من الغرفة الفى خادمه "بيير" جالسا في نهاية المشى وقد نشر بين يديه رواية بوليسية وهو منهمك في مطالعتها . وارسل إليه "لوبين" بصره مستنجدا .. متلهفا . محاولا ان يفهم شيئا ! ولكن "بيير" ظل على جموده لا يرفع بصره عن الرواية التي بين يديه ولا يحفل بـ"لوبين" او بنظراته الراجية المتوسلة . وكانت سحنته جامدة أراد "لوبين" ان يستشف منها شيئا فالفاها قطعة من الحجر لا تشعر ولا تحس .

وفتح "لوبين" باب اقرب غرفة إليه وقال محاولا ان يجد في المزاح ما يهدئ من ثورة اعصابه :

– هذا هو المطبخ .. حيث يكسر "بيير" الأطباق ويسمم الطعام ! وهذه هي الثلاجة التي نضع فيها زجاجات الشراب لتسخينها !

وابتسم "فون بوهيم" جذلا . ولم يلق إلى المطبخ نظرة وإنما فتح الثلاجة ونظر فيها مبديا إعجابه بحسن صنعها . ثم فتح دولاب المطبخ والقى نظرة إلى محتوياته مبديا إعجابه ايضا .. بل لقد امسك المفرش المنشور على المائدة ورفع أطرافه المتدلية على الأرض قد تخفى "مندرسن" تحت المائدة وقال :

– مفرش جميل ! من اين اشتريته !

ولما اشار "لوبين" إلى خزان الماء تمتم "بوهيم" يقول :

– اهذا خزان الماء ؟ بديع جدا ! فلأ تفرج عليه .

وصعد السلم المثبت إلى جانب الخزان ورفع غطاءه قليلا ونظر في داخله .

وهكذا لم يدع مكانا في المطبخ يمكن ان يخبا فيه "مندرسن" إلا فتحه ونظر في داخله .. وهو في كل هذا يتظاهر برغبته في المشاهدة مبديا إعجابه بما يرى .

ولما خرجا إلى الممشى ثانية القى "لوبين" نظرة على "بيير" يستفسر بها عما فعل خادمه الأمين لمقابلة الموقف . ولكن هذا كان لا يزال على عهده منهمكا في قراءة قصته البوليسية لا يحفل بما حوله قامت الدنيا او قعدت .

اشار "لوبين" إلى باب إحدى الغرف وقال :

- وهذا هو الحمام .

وهم بان يتابع سيره إذ كان يعتقد ان الحمام هو أصلح مكان اختاره "بيير" لتخبئة "مندرسن" ولكن "بوهيم" قال على الأثر :

- الحمام .؟ حقا .؟ لا شك انه يكون اعجوبة في مثل هذا اليخت الصغير الحجم !؟. اتسمح لي بان أراه .؟

ولم ينتظر جوابا واطل برأسه إلى داخله فقال "لوبين" :

- ليس فيه ما يستحق المشاهدة .

ولكن "بوهيم" لم يحفل بهذا الاعتراض . ووقف "لوبين" عند الباب وهو يتوقع أن يستدير إليه "بوهيم" وفي عينيه نظرة تدل على الانتصار عندما يرى "مندرسن" راقدا في حوض الاستحمام.

ولكن "بوهيم" استدار إليه بعد لحظات ووجهه على عهده جامد جذل لا يدل على أنه اكتشف شيئا جديداً وقال :

- حمام بديع ! لقد جمع كل أسباب الترف . وفيه دش أيضا !. الحق اني اتساءل في نفسي عما إذا كنت قد نسيت شيئا تزود به يختك ؟.

وانتهيا إلى باب آخر اوما إليه قائلا :

- هذه غرفة صغيرة لا اهمية لها .

فكان جواب "بوهيم" :

- كيف تزعم انها لا اهمية لها وانا ارى أن كل شيء في يختك يدعو إلى الاهتمام والإعجاب .!

فتح باب الغرفة ودخل .
وكان في الغرفة فراش منصوب في ركن منها وقد كومت الأغطية عليه فدس "بوهيم" يده فيها ظنا منه أن من المحتمل ان يكون "مندرسن" نائما في وسطها وقال :
- اغطية سميكة .. اصبت فإن البرد يشتد في بعض الأحيان .
ثم رفع الملاءة التي تغطي السرير وتتدلى على الأرض ونظر تحت السرير وقال :
- وهل هذا السرير مصنوع من الحديد أم من الخشب .؟ من الخشب هذا بديع .!
وكان "لوبين" في خلال هذا يشعر بالحرج ودقة الموقف وقد ازعجته اساليب "فون بوهيم" الماكرة وثقلت على اعصابه حتى لقد خطر له أن يصيح بملء صوته :
- نعم ايها الأخ .. إن "مندرسن" موجود عندي .!
لكي يتخلص من هذا الموقف المشحون بالكهرباء يهيج الأعصاب .. بل لقد تمنى ان يعثر "بوهيم" على "مندرسن" في اول غرفة يدخلانها حتى ينتهي الأمر ويتبدد هذا القلق الذي استولى عليه .
ولما بلغا طرف اليخت وجدا هناك غرفة صغيرة قائمة وحدها فرأى "بوهيم" الا يحرمها من إعجابه . كما انه اسبغ هذا الإعجاب على دولاب الملابس وعلى الثياب المصفوفة في داخله .
وهكذا استمر "فون بوهيم" يطوف باليخت دون ان يدع ركنا لم يتفرج عليه .. او دولابا لم يفتحه . او سريراً لا ينظر تحته . وكان يقوم بهذا التفتيش بدقة استغرقت وقتا طويلا جعل "لوبين" يعتقد ان العمر تقدم به عشرة اعوام وان ليس ثمة ما يدعو إلى الاستغراب إذا رأى لحية بيضاء تنبت له .
وقال "بوهيم" :
- صدقني إن هذا اليخت اجمل ما رايت .. لو انك كنت تاجراً تبيع هذه اليخوت لكنت اول عميل لك .. وما هذا الباب الذي يقع في نهاية الممشى ؟.
- إنها غرفة خادمي "بيير" .

وكان "لوبين" يعتقد ان "بيير" لابد ان يكون قد خبا "مندرسن" في غرفته ما دام لم يخبئه في الغرف الأخرى .

وقال "فون بوهيم" :

- غرفة "بيير" .. هيه .! ليت شعري أهي جميلة كسائر غرف اليخت

ومضى إليها .

وقف "لوبين" عند الباب وقد نمت سحنته عن عدم الاكتراث إذ ايقن ان اللحظة الحاسمة قد دنت بل لقد وضع يده على جيبه استعدادا لمقابلة الطوارىء بمسدسه . ولم ينتبه إلا على صوت "بوهيم" وهو يقول :

- هذا بديع !

فلحق به إلى داخل الغرفة .. وادهشه انه لم ير "مندرسن" فيها!

- يخت جميل جدا .. أهذا كل شيء ؟

- نعم كل شيء .

- وهذا ؟

- هذا هو العنبر .

- عنبر بديع جدا .. إذن فلديك عنبر في اليخت ؟

وكان العنبر هو المكان الوحيد الذي لم يتفرج عليه "فون بوهيم".. فكان بالتاكيد هو المكان الوحيد الذي حبس فيه "مندرسن" وارتقى "فون بوهيم" السلم المفضي إلى العنبر ففتحه ونظر في داخله واخرج "لوبين" من جيبه منديلاً مسح به جبينه الذي كاد يتصبب عرقا .

ولكن "مندرسن" لم يكن موجودا في العنبر !

وقال "فون بوهيم" :

- إني آسف جدا .. يظهر ان شدة إعجابي جعلتني لا اقيم وزنا للوقت الذي ضيعته عليك .. وما كان ينبغي ان اقوم بزيارتي في مثل هذه الساعة المتاخرة . ولكني أؤكد لك ان هذه الزيارة في نظري ثمينة إلى اقصى حد .. وقد افادتني من كل الوجوه .

وضغط جملته "من كل الوجوه" وهو ينطق بها .

ودعاه "لوبين" إلى قاعة الاستقبال ليتناول قدحا آخر من الشراب ولكنه اعتذر قائلا :

- حسبي ما ضيعت من وقتك .. إذن سنلتقي غدا في سانت بيتر ؟

– نعم .. وارجو ان اصل في موعد الشاي .

وما كاد "فون بوهيم" يبتعد بقاربه حتى هرع "لوبين" إلى خادمه "بيير" وقال له :

– تعال ايها الشيطان .. اين اخفيت "مندرسن" هل القيته في البحر ؟

– لا .. ولكني سمعت ضيفك وهو يطلب أن يتفرج على اليخت فادركت دقة الموقف وكنت قد اخفيت "مندرسن" في العنبر فاسرعت إليه وجذبت الشراع وشددته إليه ثم جذبت الحبال فانطوى الشراع عليه .

– اتريد ان تقول : إن "مندرسن" مخبأ داخل الشراع ؟

– نعم يا سيدي .. ولعلك لاحظت ان الشراع مطوي وقد كان منشورا من قبل .

فربت "لوبين" على كتفه وقال :

– إنك اعجوبة دهرك ..! ولكن الم يرك البحار الذي كان في القارب ؟

– كلا . فقد كان في الناحية الأخرى من اليخت .

– إنك مدهش ! كان في نيتي ان اقتلك يوما بان افرغ في صدرك عشر رصاصات .. اما الآن فساكتفي بثلاث !

ثم أردف قائلا :

– والآن اذهب وعد إلي بـ"مندرسن" .

ورجع "بيير" وحده متجهم الوجه منقلب السحنة فقال له "لوبين":

– ماذا دهاك ؟ إن من يراك قد يحسبك دجاجة توشك أن تبيض ولكن اين "مندرسن" ؟

فكان الجواب :

– لم اجده في الشراع .. لقد هرب !

الفصل السادس عشر

نهض "لوبين" واقفا في بطء وقال مرددا :

- هرب ؟

- نعم يا سيدي .

وخرج "لوبين" إلى ظهر اليخت وارسل بصره إلى الشراع المطوي الذي خبا فيه "بيير" الاسير فالفاه مشقوقا شقا يفسح ثغرة يخرج منها الرجل فلم يكن الامر بعد هذا في حاجة إلى إيضاح . إذ لا ريب ان "مندرسن" استفاق من غيبوبته في اثناء طواف "لوبين" بضيفه فشق الشراع بمطواته وقفز إلى ظهر اليخت وتسلل هاربا .

على أن فكرة اخرى طرات على بال "لوبين" .. الا يحتمل ان يكون البحار الذي في القارب قد راى "بيير" وهو يطوي الشراع على "مندرسن" فانبا "فون بوهيم" بالامر عندما نزل إلى قاربه فداروا حول اليخت ومزقوا الشراع وخطفوا "مندرسن" ؟ ولكنه ما لبث ان ا ستبعد هذه الفكرة حين حسب حسابا للوقت إذ رجح لديه أن الدقائق القليلة التي مضت منذ انصرف "بوهيم" لا يمكن أن تكفي للدوران حول اليخت والتسلل إليه واختطاف "مندرسن" .

وتمتم "لوبين" يقول :

- لا فائدة من اللحاق به إلى الشاطىء فإننا في وقت الجزر والارض قريبة منا .. واغلب الظن انه استطاع أن يبلغ فندقه .

وضايقه فرار "مندرسن" لانه كان بتصرفاته الحمقاء كفيلا بان يفسد خططه ويعكس اغراضه . فما العمل لاتقاء هذه النكبة التي ينتظر ان تحل به بفضل "مندرسن" وحماقته . ؟

وهنا طرات بباله فكرة ثانية .. الا يحتمل ان يكون رجال "بوهيم" الذين كانوا في القارب قد راوا "بيير" وهو يخبىء "مندرسن" في الشراع فلما انبئوا سيدهم بالامر في عودته إلى اليخت لم يفكر في ان يرتد ثانية إلى "لوبين" وإنما تابع سيره متظاهرا بانه يجهل العلاقة التي بين "لوبين" و "مندرسن" وغرضه من ذلك واضح وهو الا يجعل الشك يتسرب إلى صدر "لوبين" حتى إذا لبى دعوته في الغد وذهب إلى يخته

في ميناء سانت بيتر امكنه ان يتخلص منه إلى الأبد ، إذ إن "لوبين" سيذهب إلى اليخت وهو خالي الذهن من ان "بوهيم" يعرف الحقيقة .

فكر في الأمر طويلا وجعل يتصور الموقف .

سيعرف "بوهيم" ان "لوبين" لا يعرف انه عرف . ولن يعرف "لوبين" إذا كان "بوهيم" عرف أو إذا كان يعتمد على ان "لوبين" يعرف ان "بوهيم" لا يعرف انه عرف . وسيظل "بوهيم" يتساءل عما إذا كان "لوبين" عرف انه عرف انه لم يعرف .. ام لا؟ إن المسالة فيما يظهر كالأرقام الدائرية التي لا تنتهي . ولكن النتيجة التي لا شك فيها هي ان "لوبين" يمكن ان يذهب إلى ميناء سانت بيتر وهو يعتقد ان "بوهيم" لا يعرف بصفة مؤكدة إذا كان "لوبين" عرف انه عرف كما ان "بوهيم" يمكنه ان يوجه الدعوة إلى "لوبين" دون ان يجرؤ هذا على الرفض وإلا كان في رفضه اعتراف بانه عرف ان "بوهيم" عرف انه عرف ان "بوهيم" عرف.. او العكس بالعكس .

وشعر "لوبين" بان راسه دار وان عينيه غامتا فاقلع عن التفكير في هذه المعضلة الملتوية ..! وقرر ان ينام فورا ليريح راسه من هذا العناء .

وعندما استيقظ في الصباح جلس على ظهر اليخت يتناول الفطور وحين أرسل بصره إلى اليخت بلومبرج راى رجلاً جالساً على ظهره وفي يده منظار مصوب إليه . فايقن انه صار في عداد المشبوهين وأنهم يراقبون حركاته وسكناته ولعلهم يعتقدون أن "مندرسن" سيظهر في اليخت .

وما كاد اسم "مندرسن" يخطر ببال "لوبين" حتى أدرك" الخطر المحدق بـ"جوان بارلو" . إن "جوان" لا تعرف أن بعض افراد العصابة قبضوا على "مندرسن" بالأمس وإنهم راوا وجهه ، فاي اتصال لها بهذا الشرطي الامريكي كفيل بان يجعل "بوهيم" يتاكد من أن "جوان" تتجسس عليه .

واستقر عزم "لوبين" على ان يبادر إلى فندق أوتيل دي لامير لكي يخطر "جوان" بحقيقة الموقف لكي تعدل عن الذهاب إلى يخت "بوهيم" فامر "بيير" بإنزال القارب إلى البحر ووثب إليه وشرع يجدف متجها إلى الشاطئ .

وبينما كان في طريقه إلى الفندق إذ لمح "مندرسن" فجاة مقبلا عليه

وهو ينتزع قدميه من الرمال انتزاعا .

نظر إليـه "مندرسن" نظرة تنطوي على التـحـدى .. ولكن "لوبين" تجاهله وتابع سيره إذ كان يعلم أن اليخت سيقلع في الساعة الحادية عشرة وكان لابد له أن يلتقي بـ"جوان" قبل أن تمضي إلى اليخت حتى يثنيها عن الذهاب اتقاء للخطر الذي يتهددها .

وقال "مندرسن" يسأله في تهكم :

- يظهر انك لا تعرفني يا "لوبين" ..؟

فقال له "لوبين" في حنق وهو يصر على أسنانه :

- بودي أن اقول لك شيئا . ولكني اخجل أن اكاشفك به امام هؤلاء الناس جميعا .

فهز "مندرسن" كتفيه وقال هازئا :

- إنك فيما أعرف تجيد الكلام بالكلمات اكثر مما تجيده باللسان .

- هذا لأن الحديث بالكلمات هو الوسيلة لاقناع أمثالك من ذوي الأدمغة العنيدة .

- إذا كنت شجاعا فالكمني الآن . فإنك إن حاولت أن تلكمني جاء هذا الشرطي الذي يتمشى على الإفريز ليستفسر عما حدث... وعندما ياتي ساقص عليه الشيء الكثير عنك .. اسمع يا "لوبين" ... دعك من التدخل في هذه المسائل وإياك أن تسافر إلى سانت بيتر وإلا فالويل لك !

فقال "لوبين" :

- إني مقدر نصيحتك حق التقدير ، ولكن دعني اصلح لك رباط عنقك.

وفي نفس اللحظة تحركت يد "لوبين" بسرعة البرق فاصابت ذقن "مندرسن" بلكمة عنيفة جعلته يترنح ويقع على الأرض قبل أن يشعر احد من الذين يتريضون على الشاطيء بما حدث .

وكان "لوبين" اول من خف إلى نجدة "مندرسن" . فانحنى فوقه وجعل يروح على وجهه بمنديله .. واسرع إلى "لوبين" اقرب الواقفين إليه فقال له هذا :

- لقد أصيب بضربة الشمس .

فقال القادم :

- الواقع أن الحرارة شديدة اليوم .

وهكذا سرت الفكرة بين الذين احتشدوا حول المغمى عليه إن المسكين اصيب بضربة شمس . وقال أحد الحاضرين :

فلنعمل له التنفس الصناعي ..

فاجابه "لوبين" :

- تفضل .. تفضل .

ووكل إليه مهمة تنبيه "مندرسن" من إغمائه وأسرع إلى الفندق .

ولكن قبل أن يدخل إليه وقف جامدا مكانه وقد تستر باحد الأعمدة .. لقد فات الأوان ولم يعد هناك مجال لإنقاذ "جوان" .

وذلك انه رأى "جوان" خارجة من الفندق وإلى جوارها "فون بوهيم"..؟

الفصل السابع عشر

نشر اليخت كورسير قلاعه واخذ يشق طريقه في البحر متجها إلى ميناء سانت بيتر تدفعه الرياح ويتولى إدارة دفته "ارسين لوبين" .

وكانت الريح قوية مواتية ساعدت على سرعة السير وضاعفت من رجاء "لوبين" في ان يصل إلى الميناء في موعد الشاي .

ولكن مهما بلغت مهارته في القيادة .. ومهما واتته الريح .. فإنه سيصل حتما بعد وصول اليخت بلومبرج ببضع ساعات إذ كيف تقاس سرعة المحركات بتلك الوسائل السانجة التي لا تعتمد إلا على الشراع .

وكان طول الرحلة يتدبر الموقف ويقلب الراي على وجوهه المختلفة .. لقد راى "جوان" في رفقة "فون بوهيم" .. ومن المؤكد انها الآن على ظهر اليخت .. ولكن هبه سال عنها فهل هناك اسهل من ان يكون الجواب :

- لقد عدلت عن الحضور .. او لقد زلقت قدمها فسقطت في البحر واستحال إنقاذها .

وسيجد "فون بوهيم" عشرات من رجاله يقسمون معه على ان هذا هو ما حدث .. والرجل الذي قتل من قبل ثلاثة رجال دون أن ترقى إليه الشبهات ايعجزه اليوم أن يقتل هذه الفتاة المستضعفة..؟

ولما وصل "كورسير" إلى الميناء الفى اليخت بلومبرج قد سبقه إليها والقى مراسيه فيها فدعا "لوبين" إليه خادمه "بيير" وقال له :

- عليك أن تراقب هذا اليخت . ولكن دون أن تدعهم يلحظون انك تراقبهم .. وإذا رايت الفتاة تغادره . او إذا رايت صندوقا او طردا أو لفافة يمكن ان تتسع لجسم فتاة فاعلم أين ذهبوا بها .. افهمت ..؟

- تماما يا سيدي .

نزل "لوبين" إلى الشاطئ وقصد إلى مكتب البضائع فوجد ان في انتظاره طردين جاءا من لندن فامر أحد الحمالين بان يذهب بهما إلى اليخت إذ كان هذان الطردان هما بذلتا الغوص اللتان عهد إلى صديقه "كولمان" بان يبتاعهما .

وفي مكتب البريد وجد في انتظاره برقية هذا نصها :

"العرض ٤٩ - ٦١ - ٥٦ شمالا - والطول ٣ - ٢٣ - ٤٥ غربا "سنكون

في فندق رويال قبل وصولك فقابلنا هناك . الجو هنا بديع وإن كان الضباب شديدا - إني مشتاق إليك . إنك انت الذي ستدفع اجر هذه البرقية ولذلك سمحت لنفسي بالإسهاب والتطويل دون داع ساحضر ومعي "جيلبرت ".

"كولمان"

كانت الأبعاد التي تضمنتها البرقية تبين على وجه الدقة المكان الذي غرقت فيه الباخرة شلفونت التي يسعى "فون بوهيم" إلى السطو على شحنتها الذهبية المقدرة بخمسة ملايين من الجنيهات. وقد استقى "كولمان" هذه البيانات الدقيقة من شركة "لويدز" عن طريق أحد اقاربه الذين يعملون فيها .

دس "لوبين" البرقية في جيبه ومضى مبتهجا جذلا . فقصد من فوره إلى فندق رويال ووجد هناك صاحبيه "كولمان" و "جيلبرت" في انتظاره فلم يبد عليه انه يعرفهما وإنما قصد من فوره إلى البار واستوى على أحد المقاعد وطلب قدحا من الشراب .

اقبل "كولمان" على عامل البار وقال له :

- أرجوك ان ترسل زجاجة من الشراب إلى غرفتي قبيل العشاء.. إن غرفتي هي رقم ١٥ .

ونظر إلى الساعة المعلقة على الجدار وقال يخاطب عامل البار :

- أهذه الساعة مضبوطة ؟.

- أظن ذلك يا سيدي .

فتظاهر "لوبين" بانه يضبط ساعة يده وقال :

- لا يزال هناك وقت كاف فإني على موعد في الساعة السابعة تماما وواضح أن "كولمان" قصد بجملته ان يسمع "لوبين" ان غرفته هي رقم ١٥ كما ان "لوبين" قصد ان يسمع "كولمان" ان موعد لقائهما سيكون في تمام الساعة السابعة .

جلس "لوبين" يدخن ويحتسي قدحه .. ولاحظ ان هناك رجلا جلس على مقربة منه ولا يكاد يرفع بصره عنه فادرك انه جاسوس جديد يتعقب خطواته فتظاهر بانه لم يلحظ وجوده ولم يشعر بان هناك من يراقبه .

وبعد فترة من الوقت طلب "لوبين" قدحا من الشراب ثم سأل عامل البار عن غرفة التواليت فوصفها له فغادر "لوبين" مكانه وصعد خلسة إلى الغرفة رقم ١٥ ...وبعد دقائق ... في تمام الساعة السابعة فتح الباب ودخل "كولمان" يتبعه "جيلبرت" .

كان "لوبين" مستلقيا على الفراش وهو مغمض العينين ، فنظر إليه "كولمان" وقال باسما :

- مسكين .. إنه مستغرق في النوم .

فقال "جيلبرت" :

- معذور .. فلا شك انه كان يسهر مع الحسناء حتى الصباح . وقال "كولمان" :

- اظن اننا لووثبنا على صدره فهناك أمل في ان يستيقظ .

- أظن ذلك .

ووثبا على صدره .. ففتح "لوبين" عينيه وقال :

- كاني بكما وحشان هائجان .. تادبا أيها الأحمقان واسمعا قصتي فإنها قصة طريفة .

- افيها مليون من الجنيهات ؟.

- بل فيها عدة ملايين .

- تكلم إذن .

وتكلم "لوبين" .

الفصل الثامن عشر

قال "كولمان" وقد فرغ "لوبين" من سرد حكايته :

- إذن فهذه هي الحكاية .

وكان الشابان ينظران إلى زعيمهما بعيون تتالق . وقد تنبهت في جسميهما كل جارحة من جوارحهما وتحفزت للوثوب وخيل إليهما ان الدنيا استردت بهجتها وانوارها المتلألئة وزايلها هذا الجمود الذي عراها زمنا طويلا .

لقد رجعت الأيام الحلوة القديمة .

واسترسل "لوبين" قائلا :

- فالمسالة كما تريان ليست في جمع الأدلة فقط ضد "فون بوهيم" إذ إن الحكم عليه بالسجن لا يعود باية فائدة على شركات التامين .. اعني عن الماضي .. فليس يهم هذه الشركات ان يزج "بوهيم" في السجن وإنما يهمها أن تسترد جانبا من الأموال التي استولى عليها . ويهم "انجربيك" أن ينال عمولة . ويهمنا نحن ...

فقال "كولمان" مقاطعا :

- يهمنا نحن أن نحصل على عمولتنا .. اما انت فيهمك أن تحصل على الفتاة .

فنظر إليه "لوبين" في عتاب ثم قال :

- إن الأمر واضح لا يحتاج في فهمه إلى عناء .. إن شحنات السفن الغارقة مؤلفة عادة من السبائك الذهبية . او من الماس الخام . والتخلص من السبائك او الماس الخام ليس بالأمر الهين . فمن المؤكد أن "بوهيم" يكنز هذه السبائك في مكان خفي حتى إذا مرت سنوات أمكنه أن يتخلص منها .. فعلينا ان نهتدي إلى هذا المخبا السري .

فقال "جيلبرت" متسائلا :

- وما الطريقة ؟

- انضما إلى بحارة "فون بوهيم" وإذا ما ذهب ليضم إلى كنزه سبائك جديدة فاقتفيا اثره .. او اتخذا اية خطة شئتما ما دمتما قد فهمتما الغرض الذي أرمي إليه .

وقال "كولمان" :

- كل شيء واضح عدا ما يتعلق بالبطلة الحسناء .

- إنها تحاول أن تصل إلى "بوهيم" عن طريق قلبه .. هذا إذا كان له قلب يحس ويشعر .. وهذا هو السبب في انها رافقته اليوم في رحلته . ومما يؤسف له اني وصلت بعد فوات الوقت فلم يكن في وسعي أن احول دون ذهابها . وعزائي اني كنت اتوقع إصرارها على الذهاب مهما حاولت ان اقنعها .

وساد صمت قصير قطعه "لوبين" بقوله :

- والآن كيف يتم الاتصال بيننا ؟ إن مقابلتنا تنطوي على خطر جسيم فإن جواسيس "فون بوهيم" يتعقبون خطواتي . ولست اريد أن انفضهم عن اثري لاني في المرتين السابقتين جعلتهم يعتقدون أن الأمر جاء عفوا غير متعمد . فالراي عندي ان يتردد احدكما على هذا الفندق باستمرار فقد تجدان رسالة في انتظاركما .. وإذا تعذر علي إرسال الرسائل بهذه الطريقة فساعلق دلوا كبيرا في مكان ظاهر في اليخت .. فلتفهما من ذلك اني سابعث إليكما برسالة بواسطة الإشارات ، إنكما لم تنسيا بالتاكيد طريقة التخاطب بواسطة اوراق اللعب .. هذه هي كل تعليماتي .

- اهناك شيء آخر ؟

- لا .. ولكن يحسن ان نضيف ان الأستاذ "ماركو" سيجرب غرفة الغوص الجديدة في الغد وقد دعيت إلى مشاهدة التجربة .

فشهق "كولمان" وقال :

- ولكنك لن تذهب بالتاكيد ؟

- بل ساذهب بالتاكيد .. فإن من الغباوة أن انبذ هذه الفرصة النادرة ولا تنس ان "بوهيم" لا يعلم ضدي شيئا معينا .. كل ما في راسه شبهات لا تستند إلى اساس فإذا انا رفضت دعوته ضاعف ذلك ريبته في امري وفضلا عن هذا يجب أن اذهب لأن ..

فقال "كولمان" ضاحكا :

- لأن الفتاة هناك !

- كلا أيها الغبي .. بل لأنني قد اكتشف شيئا .

- نعم .. ستكتشف العالم الآخر بالتاكيدا .

فهز "لوبين" كتفيه في غير احتفال وقال :

- فليكن .. إن الموت قضاء لابد منه . وسواء ذهبت او لم اذهب فإن "بوهيم" لن يدعني افلت من انتقامه . وليس من شيمتي ان انكص او اتراجع .

وارتسم على شفتي "لوبين" تلك الابتسامة المعهودة التي تنطوي على الاستهتار .. تلك الابتسامة التكهمية الرائعة التي طالما بثت في نفوس رفاقه شجاعة لاحد لها .

ونهض "لوبين" واقفا ثم قال :

- والآن وداعا .

ورجع إلى البار حيث كان قد ترك الجاسوس في انتظاره ظنا منه انه ذهب إلى غرفة التواليت .

وما راى الجاسوس "لوبين" مقبلا حتى تهلل وجهه إذ ظن حين طال الوقت أن ذهابه إلى غرفة التواليت خدعة اراد بها ان يتملص من مراقبته .

غادر "لوبين" الفندق ومشى متجها إلى الميناء وهو يسال نفسه عن مصير "جوان بارلو".. إنها الآن على ظهر اليخت فهل تراها حرة طليقة.. أم سجينة حبيسة ؟ ام ان الأمر لا هذا ولا ذاك وإن "فون بوهيم" قتلها ؟

وسرت الرعدة في أوصاله عندما طاف هذا الخاطر بذهنه . ولكنه ذكر عند هذا تلك الكلمات النارية الملتهبة التي القاها "بوهيم" إلى الفتاة وهما على ظهر اليخت حين كان "لوبين" رابضا فوق سطح غرفة الآلات . كانت هذه الكلمات تدل على ان "بوهيم" مفتون بالفتاة وانه يحبها .. أو على الأقل يشتهيها . فما دامت هذه الرغبة الجارفة مستولية عليه قائمة في نفسه فمن المحال أن ينزل بها الأذى .. كل ما هنالك انه سيرغمها على البقاء في يخته شبه سجينة يعتصر شبابها ويستمتع بجمالها .. فإذاما تضاءلت رغبته فيها وخمدت جذوته لم يكن ثمة ما يحول دونه والفتك بها .

وخالجه الاطمئنان حين عرف أن "جوان" ستظل في أمان من انتقام .

"بوهيم" ولو فترة من الوقت .

وانتبه بغتة من خواطره على صوت يقول له :

- طاب مساؤك يا مسيو "كوشيه" .

وحين التفت وجد "فون بوهيم" امامه وإلى جانبه "جوان بارلو" و"فارن شلنبرج" !

الفصل التاسع عشر

طفر قلب "لوبين" فرحا حين رأى "جوان بارلو" امامه .. وود لو استطاع ان يهتف أو يرقص . ولكن وجهه على الرغم من انفعاله العنيف ظل جامدا لا ينم عن شيء إذ كان يعلم ان هناك عيونا اربعا ترقبه وتتفرس فيه .

وقال مخاطبا "فون بوهيم" :

- كان في نيتي أن اذهب إليك الآن .

- وانا ايضا كنت اتساءل في نفسي عن مكان وجودك فقد سألت عنك في يختك فانباني خادمك انك نزلت إلى الشاطئ .. اكانت رحلتك طيبة.؟

- نعم .

- لقد فكرنا في أن نتغدى في أحد المطاعم بدلا عن اليخت على سبيل التغيير .. ولكن دعني اولا اقدمك إلى من معي .. هذا هو صديقي مسيو "كوشيه" .. الآنسة "بارلو" .. ومسيو "شلنبرج" .

فحياهما "لوبين" واغتنم الفرصة لينظر إلى وجه "شلنبرج" فرآه لا يزال متورما من اثر اللكمات الهائلة التي نالها من قبضته فاسالت الدماء من انفه وفكه .

وقال "فون بوهيم" :

- لقد بذل لنا مسيو "كوشيه" معونة كبيرة في مطاردتنا لذلك الطارق الليلي الذي تسلل إلى اليخت .

- ولكني لم أفعل شيئا يذكر .

- إنك صبرت على الأقل على فضولنا وتهجمنا عليك بالأسئلة .. والآن هل لك في أن تتناول معنا العشاء ؟

وما كان "لوبين" يتمنى شيئا غير هذا ، فاجاب بالقبول على الفور وأردف قائلا :

- ولكن اين الأستاذ "ماركو" .

- لقد رفض ان يصحبنا فإنه الليلة منهمك في العمل استعداداً لتجربة الغد .

تناولوا العشاء في أحد المطاعم الفخمة .. ولاحظ "لوبين" ان "بوهيم"

و "شلنبرج" لا يحاولان مطلقا ان ينظرا إليه خلسة أو أن يراقباه ، بل أرادا ان يشعراه بسلوكهما انهما لا يرتابان في أمره .

واخذ "لوبين" يسال نفسه عما إذا كان "شلنبرج" قد ادرك أن هذا الرجل الجالس إزاءه هو الذي أسال الدم من فمه بالأمس .؟ وهل يعرف "بوهيم" يا ترى انه هو الذي وثب عليه من سطح الغرفة وركله بقدمه في وجهه فاوقعه على الأرض .؟ واي شيء يعرفان عن "جوان" وهل كشفا سرها ؟. أم أن الأمر عندهما لا يعدو مجردالشبهة التي لا تستند إلى دليل ؟. وهل يا ترى أساء إليها "بوهيم" ، أم لا يزال يكرمها ويحترمها ولم يكشف لها من نيته ما يبطن ؟.

كان ينظر إليها من حين لآخر وما يستقر بصره على وجهها إلا شعر برغبة جارفة تسري في أوصاله وتسيطر على أعصابه . كان يتمنى أن يحتويها بين ذراعيه ويضم جسمها اللدن الغض إلى صدره ويطبق على شفتيها الحمراوين بشفتيه الملتهبتين يعتصرهما ويستقي منهما قبلة تهدىء من ثورة أعصابه وتشيع في نفسه رغبات الحب التي تهزه هزاً .

كان لا يراها إلا تمنى لو خلا إليها دون العالم فاصغى إلى همساتها.. ومناجاتها .. وصوتها العذب الحنون .. فتسمعه في حديثها أعذب ما انفرجت عنه الشفاه .

واخيرا الفى نفسه يرقص معها .

فبعد العشاء عزفت الموسيقى تدعو الجالسين إلى الرقص فنهض "بوهيم" ودعا الفتاة إلى مراقصته ، ثم دعاها "شلنبرج" بدوره . واخيرا نهض "لوبين" وتقدم إليها فاحتواها بين ذراعيه واخذ يدور بها الحلقة.

ومال إليها يهمس في اذنها قائلا :

– مضى دهر طويل لم أرك في خلاله .

فقالت باسمة :

– إني اذكر ان آخر مرة التقينا فيها كانت وانا طفلة أحبو .

– اما انا فاذكر اننا التقينا آخر مرة حين كنت طفلا أمص أصبعي

وضحكت "جوان" .. وضحك "لوبين" .

ثم أردف قائلا :

- الم تسمعي تلك القصة العجيبة التي حيرت العالم ؟.
- اية قصة ؟.
- لقد وضعت إحدى النساء طفلا له عينان .
- واية غرابة في هذا .؟ الم تسمع انت بقصة ذلك الطفل الذي ولد وله انف في وجهه .؟
- حقاً .! ما اعجب هذا .!

وضحك الاثنان للمرة الثانية ضحكة جذابة كانما لا يتهددهما الموت وقال "لوبين" فجاة :

- الم اخبرك من قبل أنك جميلة .؟
- كلا . واكبر ظني انك لم تلاحظ ذلك إلا الآن .
- هذا لأني كنت افكر في ذلك الحلم الرهيب الذي حلمته الليلة .
- اي حلم .؟
- رايتك سجينة في غرفة خالية من الأبواب والنوافذ فدخلت إليك .!
- وكيف دخلت وليس للغرفة باب او نافذة .؟
- لا ادري .. كل ما اعرف هو اني دخلت إليك وانقذتك في اللحظة التي رايت فيها جلادا يهم بان يهوي على عنقك بسيفه .

وكانا في اثناء ذلك يدوران في أرجاء القاعة الحافلة بالراقصين والراقصات حتى إذا اقتربا من باب الشرفة المفضي إلى الحديقة اجتذبها "لوبين" إلى ناحيته ومرقا منه قبل أن يفطن احد إلى خروجهما.

هبطا إلى الحديقة فجلسا على أحد المقاعد ونظر "لوبين" إلى وجهها وقال :

- والآن .؟

فابتسمت في بطء وقالت :

- والآن .؟
- كنت أتوقع لك الموت .. أو العار .. فأيهما حل بك .؟
- سيحل بي كلاهما فيما أعتقد .

فلمس وجنتها في رفق وقال :

حسبي انك لاتزالين على قيد الحياة فهزت راسها وقالت :

- إن في كل دقيقة نمضيها هنا خطرا علينا فدع الهزل وحدثني بما وقع بالأمس .

فقص عليها ما كان من اختطافهم "ماندرسن" وكيف رجع هو ثانية إلى اليخت فانقذه من الغرفة السرية وقال :

- ولست ادري إذا كانوا قد عرفوا انه هو الرجل الذي زارك في الفندق ام لا .

- وماذا كان من شانك انت ؟

- زار "بوهيم" يختي بعد فرار "مندرسن" بقليل واصر على التفرج عليه ، ولكن خادمي "بيير" خبا "مندرسن" في الشراع فلم يكتشف "بوهيم" وجوده على الرغم من انه فتش كل ركن في اليخت تفتيشا دقيقا بحجة الفرجة .

ثم روى لها كيف هرب "مندرسن" من الشراع وكيف انه (اي لوبين) ذهب إلى زيارتها في الفندق في الصباح ليحذرها من الذهاب إلى اليخت وكيف التقى بـ"بمندرسن" وكيف تخلص منه .

وقالت الفتاة في لهجة بطيئة :

- لقد زارني "مندرسن" في هذا الصباح .

فنظر "لوبين" في عينيها وفهم ما يتالق فيهما من معنى فقال :

- وحاول أن يقنعك باني لص محتال واني اخدعك لا لكي أسلم إليك "بوهيم" وإنما لأحل مكانه .

فحملقت إلى وجهه وقالت :

- وكيف عرفت هذا ؟ اكنت تسترق السمع ؟

- لا .. ولكني بارع في قراءة الأفكار .. ولا اكتم عنك اني لص وانه كان في نيتي أن اختطف "مندرسن" حتى اتخلص من حماقته التي توشك أن تفسد خططي وتكاد تلقي بي وبك إلى التهلكة .. ولكن خبريني .. اصدقت مزاعم "مندرسن" عني ؟

فحنت راسها في بطء وقالت في صوت خافت :

- نعم .

- ومع ذلك حضرت إلي وسمعت اقوالي !

فاغمضت عينيها وقالت :

– هذا لأني أحبك !

فاجتذبها "لوبين" إلى صدره وهمس في اذنها يقول :

– وأنا أيضا أحبك !

– أيها الكذاب العزيز !

ثم هزت كتفيها في غير اكتراث وقالت :

– ولكني لا أبالي .. غدا ستسيء إلي يا"لوبين" .. وغدا أندم ويدركني الأسف .. ولكني مع ذلك لن أبالي .. إني سعيدة فحسبي حاضري .. حسبي الليلة ! أما الغد ...

وهزت كتفيها فقال "لوبين" في صوت متهدج :

– وهل من غد هناك !

نهضت "جوان" واقفة وقالت :

– فلنرجع إلى القاعة .

ومشيا صامتين في خطوات بطيئة متمهلة . وكان القمر يتوسط السماء والنجوم زاهية متالقة .

ولما بلغا أسفل الدرج همس "لوبين" قائلا :

– دعيني اقبلك .!

فنحت وجهها عنه وقالت :

– هاك يدي فقبلها .!

فرفع يدها إلى شفتيه وطبع على أناملها قبلة بطيئة عميقة كانه عابد يقبل صنمه المقدس .!

الفصل العشرون

حين رجع "لوبين" إلى المائدة نفض عن نفسه ما ظل عالقا بها من آثار تلك اللحظات الجنونية التي امضاها في الحديقة في رفقة "جوان" . فارتد كما كان ذلك المغامر الجريء الذي لا يحفل بالدنيا ولا يابه لها .. ذلك الرجل الذي وثب في ظلمة الليل إثر دوي رصاصة سمعها ليستقبل ما قد يتكشف عنه الليل من مخاطر واهوال .. ذلك المجازف الذي يلعب الآن لعبة لا يمكن ان تفضي إلا إلى الموت .

ادار "لوبين" بصره في ارجاء المكان وقال :

- لو اني كنت مكان الأستاذ "ماركو" لطويت اوراقي وكتبي وحضرت لامضي السهرة في هذا المكان البديع .

فقال "فون بوهيم" مجيباً :

- إن للعلماء ولعا عجيبا باعمالهم . والدراسة العلمية في نظرهم ترجح على اعظم المتعات .. بل إنها عندهم هي المتعة الكبرى .. على اني مع هذا اشاطره قلقه وانزعاجه .. فلو ان هذه التجربة اخفقت لكان اتعس الناس . غير اني استبعد هذا الإخفاق .. إنك سترافقنا في الغد . اليس كذلك .؟ إننا سنرحل في ساعة مبكرة ، فهل لك ان توافينا إلى اليخت في الساعة التاسعة .؟

واخذوا يتباحثون في شان الرحلة فترة من الوقت . ثم نهضوا للانصراف .

اخذ "لوبين" يتابع الفتاة ببصره وهو حالم ذاهل .. خيل إليه ان الدنيا ليست هي الدنيا وان الناس قد استحالوا إلى جمادات لاحس لها ولا شعور .. خيل إليه انه هو الإنسان الوحيد في هذا العالم .. الإنسان الذي له قلب ينبض . ويشعر . ويحب . إنه يحب "جوان" فهل في الدنيا شعور اشد طغيانا من هذا واعمق اثراً .؟ واولئك الذين لا يحبون "جوان" او الذين لم يروها ولم يعرفوها . او الذين راوها وما حفلوا بها . اتراهم من البشر .؟ اتراهم يستحقون الحياة . ؟ إنهم اشبه بالحيوانات السائمة التي لا تعرف عن الدنيا إلا انها مرعى للطعام او الشراب .!

لقد خرجت إليه "جوان" من البحر كانها حورية تستلب اللب وتدير

الرأس .. خرجت إليه من الضباب فجعلته يكفر عما جنى ويتوب عما أجرم . لقد احتواها بين ذراعيه وقبلها فكانت قبلتها أكبر نعمة شعر بها في حياته .

ظلت هذه الخواطر وأمثالها تدور في رأس "لوبين" حتى بلغ يخته .

ولكنه انتبه منها فجأة على صوت عجيب .. صوت يشبه شخير النائم... يشبه التنفس المرتفع .. بل يشبه فحيح الأفاعي .

وقف "لوبين" على رأس السلم المفضي إلى بهو اليخت يرهف السمع ليتبين مصدر الصوت .. وأدرك أن هناك خطراً يربض في الظلام .. خطراً يتوثب ويتحفز للانقضاض .

ومد يده في خفة وسرعة فتناول وتداً من الحديد وهبط السلم متسلحا به وهو لا يزال مصيخا سمعه .

واتجه إلى مصدرالفحيح الذي سمعه .. وكان يمشي متسللا على أطراف أصابعه .. وعرف أن الفحيح ات من قاعة الاستقبال .. كانت القاعة مضاءة والنور ينبعث من تحت عقب الباب .

ووضع "لوبين" يده اليسرى على مقبض الباب .. وأداره .

ورفع يده اليمنى التي يمسك بها الوتد .. ثم دفع الباب دفعة واحدة ووثب إلى الداخل متحفزا إلى معركة .

ولكنه جمد في مكانه لا يتحرك !

كان يتوقع أن يجد في القاعة حية هائلة من نوع الكوبرا أرسلها إليه "بوهيم" لتكون في استقباله ولكنه لم يجد شيئا من هذا القبيل .

وإنما وجد خادمه "بيير" طريحا على الأريكة .!

لم يكن "بيير" نائما يشخر ، ولكنه كان مفتوح العينين والدماء تنبثق من صدره .

أسرع إليه "لوبين" وقال في انزعاج :

– ماذا جرى ؟

فتمتم الخادم الأمين في صوت لا يكاد يسمع :

– لا شيء .

وأرسل بصره إلى ناحية الباب الداخلي للقاعة وهز رأسه ففهم "لوبين" أنه يحذره من عدو كامن وراء هذا الباب الموصد .

وقال "لوبين" في صوت مرتفع :
- هنا لص .؟ هرب .. فليكن .. يجب أن أهتم أولا بجرحك .. نعم ارفع القميص .. كلا . إن الجرح ليس عميقا .. هل تؤلمك يدي ؟
كان وهو ينطق بهذه الكلمات يبتعد متسللا عن "بيير" ويتجه إلى الباب حتى إذا سمعه الطارق الليلي ظن أنه منهمك في معالجة خادمه .
اقترب "لوبين" من الباب وفتحه في حركة سريعة فالفى القاعة المجاورة مظلمة .. ولكن قبل أن يتقدم خطوة واحدة انبعث من ظلام القاعة صوت يقول :
- إياك أن تتحرك وإلا ألهبت رأسك بالرصاص !
وجمد "لوبين" في مكانه إذ كان يعلم أن عدوه المتستر بالظلام أقوى منه في مثل هذا الموقف .
وقال صاحب الصوت المجهول :
- ارجع إلى الخلف .
وتراجع "لوبين" بضع خطوات مكنت العدو الخفي من أن يتقدم ليدخل القاعة .
تأمل "لوبين" وجهه الدميم والمسدس الذي في يده وقال باسما :
- إن الصراصير تعيش في الظلام . فهل أنت صرصور ضل الطريق ؟
صاح الرجل وهو يلوح بمسدسه :
- أدر ظهرك إلى ناحيتي .
- ماذا ؟ ألم يعجبك وجهي ؟
- قلت لك أدر ظهرك !
فأطاعه "لوبين" وهو يهز كتفيه في غير مبالاة قائلا :
- إن الذي في يدك يا بني مسدس يقتل .. فإياك أن تلعب الزناد وإلا أصابتني الرصاصة ومت قتيلا .. ألم تر يوما رجلا يشنق ؟ إن الشنق يقلب السحنة وإن كانت سحنتك مقلوبة بطبيعتها.
فصاح الرجل في صوت متوعد قائلا :
- سأنسيك هذا المزاح عاجلا .. ضع على الأرض هذا الوتد الحديدي وتقدم إلى الأمام خطوتين .
- ولكني لا أستطيع أن أستغني عن مظلتي .

- قلت لك ضع الوتد وتقدم خطوتين .

فانحنى "لوبين" واختار في عناية تامة المكان الذي يصلح لوضع الوتد ثم تقدم إلى الأمام خطوتين .

وساد سكون قصير قطعه رنين جسم حديدي فعرف "لوبين" أن اللحظة الحاسمة قد حلت .. كان هذا الرنين هو الشيء الذي ينتظره ويتلهف عليه .

كان طبيعيا أن يطلب الطارق الليلي من "لوبين" أن يضع الوتد الحديدي على الأرض .. ولكن الذي بدا شاذا غير مفهوم هو أن يطلب من "لوبين" في الوقت نفسه أن يوليه ظهره وأن يتقدم إلى الأمام خطوتين .. فما الداعي إلى هذا الطلب الغريب ؟

لقد فهم "لوبين" من ذلك أن الطارق إنما أمره بوضع الوتد وإدارة ظهره والتقدم خطوتين حتى يتمكن هو نفسه من أن يلتقط الوتد دون أن يراه "لوبين" ثم يضربه به على رأسه لأن دوي الرصاص ليس بالشيء المأمون .

ولهذا حرص "لوبين" وهو يضع الوتد على الأرض أن يسند طرفه على حافة المنفضة المعدنية الموضوعة في ركن القاعة . فإذا ما هم الرجل بأن يتناول الوتد كان لابد أن تهتز المنفضة فيصدر عنها ذلك الرنين الذي سمعه "لوبين" .. وكان "لوبين" يعرف بالضبط المسافة التي بينه وبين المنفضة .. أي التي بينه وبين الرجل عندما ينحني لالتقاط الوتد .

ولهذا لم يكد يسمع ذلك الرنين الخفيف حتى تحركت ساقه اليمنى إلى الوراء في قوة وعنف فاصاب حذاؤه وجه الرجل وهو منحن فوق الوتد ليلتقطه .

وفي اللحظة التالية استدار "لوبين" على عقبيه فرأى الرجل وهو يتدحرج على ظهره وقد وضع يده على وجهه والدماء تنبثق من بين أصابعه .

وانقض "لوبين" على الرجل فاشتبكا في نضال عنيف !

وكان منتظراً أن يطول هذا النضال ويمتد . لولا أن "بيير" تحامل على نفسه ونزل عن الأريكة فتناول الوتد ورفعه في يده وانتظر اللحظة المناسبة لكي يهوي به على رأس الرجل .

ترنح الرجل وسقط على الأرض فتلقاه "لوبين" بين ذراعيه وأرقده على الأرض في رفق وهو يقول :

- لقد كان ولدا طيبا !

ثم أخذ يضمد جرح خادمه "بيير" قائلا :

- قص علي ما حدث .

فأنباه أن الرجل جاء إلى اليخت في قارب صغير ورفع صوته مناديا فلما خف إليه سأله عن مسيو "كوشيه" فأجابه بأنه ذهب إلى الشاطئ فقال الرجل : "اسمح لي بأن أنتظره لأبلغه رسالة مهمة" وقبل أن يتمكن "بيير" من الإجابة بالرفض أو القبول كان الرجل قد صعد إلى اليخت .. وقبل أن ينبئه "بيير" إلى ما حدث كان الرجل قد ضربه على رأسه بقبضة مسدسه فأغمي عليه فحمله وهبط به إلى قاعة الاستقبال وأرقده على الأريكة .

وقال "لوبين" يسأله :

- وهذا الجرح الذي في كتفك ..؟

- عندما استفقت من إغمائي وجد ت الرجل في القاعة يفتش الدواليب والأدراج فنهضت واقفا في حذر وتناولت مقعدا قذفته به بكل قوتي ولكنه استدار في اللحظة المناسبة ليراني .. وكان مسدسه في يده فعاجلني برصاصة أصابت كتفي .

قال "لوبين" في نفسه وهو منهمك في تضميد جرح خادمه :

- إذن فهذه الرصاصة لم تطلق على "بيير" عمدا .. وإنما في حالة الدفاع عن النفس .. أعني أن اللص وجد نفسه في مأزق حرج فاضطر أن يستعمل مسدسه . ولقد كان في وسعه أن يقتلني وأنا أهبط السلم حين كان متوارياً في الظلام بل لقد كان في وسعه أن يقتلني الآن ؟ مسدسه مركب عليها جهاز كتم الأصوات . فلماذا لم يقتلني ..؟ ولماذا كانت كل مهمته أن يفتش اليخت ..؟ الجواب عن هذا هو أن "فون فوهيم" لا يزال يجهل حقيقة أمري ولا يزال ينشد عني معلومات قاطعة إما أن يكون هذا الطارق الليلي لصا عاديا من لصوص البواخر فمستحيل إذ إنه عند حضوره سأل عن مسيو "كوشيه" .. وليس ثمة من يعرف أني أنتحل هذا الاسم إلا "بوهيم" وأصحابه .. ومهما يكن من الأمر فهذا

معناه أن الشبهة ضدي لا تزال حتى الآن معلقة لا تستند إلى دليل .

والتفت "لوبين" إلى خادمه قائلا :

- هل أحضر أحد الحمالين حقيبتين لأجلي ؟

- نعم .. وهما في البهو .

فذهب "لوبين" إلى البهو فوجد حبال إحدى الحقيبتين ممزقة وقفلها مهشما وغطاءها مرفوعا .. أما الحقيبة الثانية فكانت مهشمة القفل ممزقة الحبال ولكن غطاءها كان لا يزال في موضعه فأدرك أن الزائر الليلي لم يكن قد أكمل تفتيشه حين فوجىء بقدوم "لوبين" .

إذن فقد رأى الزائر الليلي بذلة الغوص الموضوعة في الحقيبة... فإذا أذهب إلى "بوهيم" بهذه المعلومات ففي ذلك البلاء الأكبر ، إذ هو الدليل على أن "لوبين" يهتم بالسفن الغارقة .. فيجب الاحتفاظ بهذا الرجل مهما كان الأمر .

وتعاون "لوبين" مع خادمه على تنبيه الرجل من غيبوبته فأخذا ينضحان وجهه بالماء البارد وينشقانه النشادر وهو جامد في مكانه لا يتحرك .

قطب "لوبين" جبينه وتفرس في وجه الرجل ثم رفع رأسه قليلا ونظر إلى جمجمته ... إلى الموضع الذي هوى عليه "بيير" بالهراوة الحديدية.

وهنا أدرك "لوبين" أن الضربة كانت شبه قاتلة وأن الرجل قد لا يفيق من غيبوبته أبدا .

فتنهد أسفاً على تلك المعلومات التي كان يرجو أن ينتزعها منه...!

الفصل الحادي والعشرون

لم يوجه "لوبين" إلى خادمه "بيير" كلمة لوم واحد ة إذ كان يعلم انه في موقف دفاع عن النفس . وإذا كانت الضربة قد جاءت اشد مما ينبغي فعذره أنه نال منذ لحظات – ومن يد هذا الرجل نفسه – رصاصة استقرت في كتفه ... ولو انها تزحزحت قليلا لاصابت قلبه وقضت عليه.

وعندما استيقظ في الصباح كان اشد إيمانا بان ما حدث هو الشيء الوحيد الذي كان يمكن أن يحدث في مثل هذا الموقف .

على أن الشيء الذي كان يشغل ذهنه بنوع خاص إنما هي النتائج التي ستترتب على هذه الحوادث .. إن "فون بوهيم" ينتظر بفروغ صبر عودة رسوله لينبئه بما أسفر عنه تفتيش اليخت فإذا ما تخلف عن الحضور فلتخلفه تفسيران : الأول هو انه غدر بزعيمه.. وهو تفسير غير مقبول وغير معقول .. والتفسير الثاني هو ان حادثا وقع له .. وهو التفسير الذي سياخذ به "بوهيم" .

وفي هذه الحالة ما عسى أن يكون موقف "بوهيم" ؟ إنه لن يبلغ البوليس ضد "لوبين" وإلا انكشف سره ووجد من يساله عن الكيفية التي عرف بها أن لصا سيسطو على اليخت . فضلا عن انه يكره أن ينبه إليه انظار البوليس . كما انه لا يزال يجهل حقيقة شخصية "لوبين" (اي مسيو كوشيه) وقد يخطر له أن "كوشيه" هو نفسه من رجال البوليس .

وجعل "لوبين" يكدح ذهنه ويحاول ان يضع نفسه في موضع "بوهيم" ليتصور ما كان ينبغي ان يفعله في مثل هذا الموقف :

– نعم .. ماذا كنت افعل لو انني كنت "فون بوهيم" ..؟ كنت احضر إلى اليخت توا لألقي إليه نظرة .. ولكن "بوهيم" لا يمكن أن يفعل هذا وقد اتبع نفس الطريقة في الليلة السابقة . فليس معقولا ان يتفرج على اليخت مرتين في اربع وعشرين ساعة . فإن الأعذار لن تسعفه مهما كان حظه من الذكاء . وفضلا عن هذا فهو يعرف انه لن يجد رسوله في اليخت . فإذا كنت من رجال البوليس.. او إذا كنت رجلا حسن النية ولا

شأن لي بالمسائل التي يهتم بها "بوهيم" فالتصرف الوحيد المعقول هو أن أرسل اللص إلى مركز البوليس . ولن يستطيع "بوهيم" أن يفعل في هذا الصدد شيئا إلا في الصباح حين تنشر الصحف انباء الحادث فيبادر إلى دفع الكفالة المطلوبة للإفراج عن رسوله .. ولكن إذا فرض من الناحية الأخرى أني لست شرطيا ولست شخصا حسن النية بل إني على العكس من ذلك لص من لصوص البحار انافس "بوهيم" في مهنته.. فالتصرف الوحيد عندما اقتنص احد رجال خصمي هو أن أحبس الأسير في يختي فإذا ما خف "بوهيم" لإنقاذه وجدني في انتظاره وقد نصبت له فخا لاقتنصه بدوره .. ولما كانت هذه الزيارة لم تقع في خلال الليل فمعنى ذلك أن "بوهيم" لا يزال يجهل حتى الساعة حقيقة شخصية "لوبين" .

ولما عرف "بيير" أن سيده سيذهب إلى اليخت بلومبرج أخذ ينصحه بالعدول خوفا على حياته فقال له هذا ضاحكا :

– وكيف تريد مني أن اتخلف عن الذهاب والفتاة هناك ؟

– ومعنى ذلك انك تريد أن تقتل معها .

– بل معناه اني سانقذها .. وفضلا عن هذا فإني لا أحب أن تفلت مني اللحظات السعيدة .. إن "بوهيم" يعتقد بلا شك أني ساتخلف عن زيارته بعد أن وقع على يختي ذلك الهجوم الليلي .. فإذا رآني اصعد الآن إلى يخته مشرق الوجه باسم الثغر ادهشه قدومي واذهله ، ولست ممن يرضون بأن يدعوا منظرا طريفا كهذا يفلت منهم : منظر رجل جامد السحنة كأنه تمثال من الحجر وقد انقلب دفعة واحدة حائرا مرتبكا .

وصح ما ذهب إليه "لوبين" .. فعندما رآه "بوهيم" سقط عن وجهه ذلك القناع الحجري والتمعت عيناه واختلجت أساريره .. ولكنه ما لبث في طرفة عين أن استرد هدوءه وسكونه .

وقال "بوهيم" يجيبه :

– طاب صباحك يا مسيو "كوشيه" .

فابتسم "لوبين" وقال متمتما :

– لا يطيب الصباح إلا ليلة رائعة كليلة الأمس .

– إذن فقد استمتعت بتلك السهرة التي أمضيناها معا ؟

- وبحكاية ساعة النوم أيضا !

فرفع "بوهيم" حاجبيه مستفسرا فابتسم "لوبين" وقال في لهجة الرجل الذي لم يشهد في حياته إلا ما ندر من المغامرات :

- لابد أن السطو على السفن مهنة لذيذة .. فقد تسلل إلى يختي لص في الليلة الماضية .

فهتف "بوهيم" قائلا :

- حقا يا عزيزي "كوشيه" ؟ وهل سلبك شيئا ثمينا ؟

- لا شيء على الإطلاق فقد قبضنا عليه .

فقال "شلنبرج" في إعجاب :

- إذن فقد كنت أسعد منا حظا .. ألم يحاول المقاومة ؟

- إن الوقت لم يتسع له .

وأقبلت "جوان بارلو" في هذه اللحظة فلم يكمل "لوبين" جملته إذ انهمك في تحيتها . وأخذ "بوهيم" بذراعها وهو يقول :

- كان مسيو "كوشيه" يقص علينا يا عزيزتي نبأ حادث وقع بالأمس بعد أن افترقنا .. لقد سطا على يخته لص من لصوص البواخر . ولكنه قبض عليه .

فابتسمت الفتاة وقالت :

- إنها مغامرة لذيذة ..! ولكن كيف تسنى لك أن تقتنصه ..؟

- لقد جاء إلى خادمي "بيير" في أثناء غيبتي وزعم أن لديه رسالة يريد أن يسلمها إلي يدا بيد ، ثم اغتنم غفلة من "بيير" فضربه على رأسه بمقبض مسدسه وأفقده الوعي .. ولكن "بيير" ما لبث أن استفاق قبل أن يهرب اللص بما سرق فاشتبكا في عراك عنيف واتفق أن جئت أنا في هذه اللحظة فانضممت إلى "بيير" .. ولكن الشيطان أطلق علينا النار غير أن الحظ خانه إذ طاشت الرصاصة .

- وبعد ذلك ..؟

ونطق "بوهيم" بهذا السؤال في صوت هادىء لا ينم عن شيء من الانفعال كمن لا يعنيه الأمر إلا من حيث إنه حكاية مسلية تفيد في تمضية الوقت . ولقد أشعل سيجارة في هذه اللحظة فلاحظ "لوبين" أن يده ثابتة لا ترتعد .

- لقد اشتبكنا في النضال كما قلت ونحن نحاول أن ننتزع المسدس من يده . واختطف "بيير" وتدا كان قد جاء به ليطليه فضرب به اللص على رأسه ضربة أفقدته الرشد . فقيدناه ونقلناه إلى الشاطئ وذهبنا به إلى مخفر البوليس . وعندما أرادوا أن يعملوا له الإسعافات الأولية فطنوا إلى أن الضربة كانت شبه قاتلة وأن المسكين في حالة قريبة من الموت ولا يرجى له شفاء .

وساد الحاضرين صمت طويل .

ولقد ساق إليهم "لوبين" القصة بهذا الشكل الذي يقرب كثيرا مما حدث اتقاء للنتائج التي قد تترتب إذا ما عمد إلى أكذوبة كبيرة .. فلو أنه قال مثلا : إن الإصابة كانت خفيفة لتوقع "بوهيم" أن يجد في صحف الصباح أنباء الحادث . أما إذا كانت الإصابة قاتلة فالمفترض أن تكتم عن الجمهور ريثما يقوم الأطباء بفحص المصاب وهذا يضمن على الأقل إرجاء إذاعة الحادث إلى صباح اليوم التالي .

وبعد لحظات تمتم "شلنبرج" يقول :

- إذن فقد مات اللص ؟

فحنى "لوبين" رأسه قائلا :

- أو هذا هو المنظور على الأقل . فقد هشم "بيير" جمجمته بتلك الضربة العنيفة .

فقالت "جوان" :

- وهل سيقبض البوليس على "بيير" ..؟

- لا فالحادث يعتبر في مثل هذه الظروف دفاعا عن النفس أي إنه وقع قضاء وقدرا .. وإن كنت لا أكتم عنكم أن موت هذا الرجل وإن كان لصا أثر في نفسي تأثيرا شديدا .

وكان "بوهيم" ينظر إلى "لوبين" ويتفرس فيه وقد تصلبت عضلات وجهه والتمعت عيناه ونمت سحنته لأول مرة منذ بدأ الحديث - عن القسوة والبرود .

وقال "بوهيم" مؤمنا :

- ولكنه جنى ما يستحق .. فليس مطلوبا منا أن نربت في عطف ومودة على اللصوص الذين يهاجموننا ، فلا تدع الأمر ينال منك

ويزعجك.

وكان الأستاذ "ماركو" مقبلا فسمع الجملة الأخيرة فقال :

- ما الذي يزعجه ..

فعاد "لوبين" يقص من جديد حكاية اللص ،في أثناء ذلك جاء أحد البحارة يحمل برقية ناولها إلى "بوهيم" ففضها هذا على مهل وتلاها .

وفي أثناء قراءته لها لاح عليه انه استرد سيطرته على أعصابه وتحكمه في عواطفه وأن الصراع الذهني الذي كان يفترسه هدأ واستقر.

نهض "بوهيم" واقفا وهو يقول :

- لقد كنا أوشكنا أن نقلع .. فهل تسمحون لي بالانسحاب حتى أشرف على الأمر بنفسي ..؟

ثم مشى في خطوات بطيئة وئيدة .. وأحس "لوبين" أن اللحظة الحاسمة قد دنت .. وأن المعركة الدامية توشك أن تنشب ..!

الفصل الثاني والعشرون

اشعل "لوبين" سيجارة واستند بمرفقه على سياج اليخت وارسل بصره إلى البحر الذي كان يتقلب في فيض من اشعة الشمس .

وكانت عيناه تلتمعان ايضا كانها شعاع من هذه الاشعة .

لقد كان دائما مجنونا .. ويظهر انه لا يزال كذلك .

حقيقة ان "كولمان" و "جيلبرت"وبيير" موجودون في سانت بيتر.. وحقيقة انهم يعلمون مكان وجوده .. ولكن اتراهم يستطيعون أن يخفوا إلى نجدته إذا ما حاقت به الأخطار ..؟ كلا .. إذ لا سبيل لهنم إلى الوصول إيه .

وها هو ذا و "جوان" إلى جانبه يضربان في الماء على ظهر اليخت بلومبرج وخلفهما "بوهيم" و "شلنبرج" يدبران الخطط لاغتيالهما والتخلص منهما يؤيدهما في ذلك نفر من البحارة لا يقلون عن العشرة.

وفي هذا اليخت البعيد عن الرقابة في غمار البحر الهائل . يمكن أن يحدث اي شيء دون ان ينتبه مخلوق إلى ما حدث .. قد تنطلق رصاصة فلا يسمع شاهد دوي الطلق ولا صرخة الاستنجاد.. ولا يرى جثة القتيل أو دماءه التي نزفت .. وقد يقع حادث بالقضاء والقدر يدون في سجلات اليخت ويشهد نوتيته على صحته دون أن يكون هناك مجال للتاكد او التحقيق .. وقد تضرب اليخت موجة هائلة فتجرف "لوبين" معها إلى القاع دون أن يتمكن احد من إنقاذه . وقد تشتبك قدم "جوان" في احد الحبال وهي تمشي على الحافة فيختل توازنها وتقع إلى الماء فتطويها الأمواج قبل أن ينتهي استنجادها إلى اذن من الأذان .!

نعم .. قد يقع شيء من هذا عمدا فيقال : إنه جاء عفوا . والبحر يكتم اسراره لأنه جبار لا يخشى اهل الأرض .

واخيرا بدا اليخت يهدئ من سيره وخفتت اصوات المحركات فالتفت "لوبين" إلى الأستاذ "ماركو" الذي كان جالسا وحده على مقربة منه وقال له :

- اهذه هي البقعة التي ستقوم فيها بتجربة الغوص ؟

حنى الأستاذ راسه وقال :

- أظن ذلك . لقد درسنا الخريطة معاً بالأمس فوجدنا أن أعمق مكان يبلغ ٥٦٤ قدما وهو وإن كان عمقا متوسطا إلا إنه يكفي لإجراء التجربة المبدئية .

وذكر "لوبين" عند هذا أنه و "جوان" ليسا الشخصين الوحيدين اللذين يتهددهما الخطر فإن هناك شخصا ثالثا يرفرف الموت فوق رأسه كما يرفرف فوق رأسيهما .

وهذا الشخص هو الأستاذ "ماركو" .

والتفت "لوبين" إليه قائلا :

- أتعرف "بوهيم" منذ زمن طويل .

- منذ ستة أشهر . إذ جاءني عقب تجربتي الأولى وعرض علي أن يؤازرني ماليا فقبلت اقتراحه فرحا إذ كنت في أشد الحاجة إلى المال لمتابعة أبحاثي . وكان كل ما في وسعي أن أفعله مقابل هذا السخاء وردا على جميله ، هو أن أسمي باسمه سمكة جديدة اكتشفتها من الصنف الذي لا يعيش إلا في الأعماق البعيدة إذ سميتها "بوهيمان" . وهكذا ترى يا عزيزي أني قدمت إليه كلمة مكونة من سبعة حروف مقابل ألوف الجنيهات التي قدمها إلي .

وضحك الأستاذ ضحكة رنانة مرحة فقال له "لوبين" :

- ألم تفكر بعد في المنافع التجارية التي تترتب على استغلال اختراعك ؟

- كلا يا عزيزي .. فإني أخشى أن يكون اختراعي ذا صبغة علمية محضة .

ثم اتسعت حدقتاه ونظر إلى "لوبين" قائلا :

- ولكن خبرني .. أهناك أوجه تجارية لاستغلال اختراعي ؟

فتردد "لوبين" في أن يلقي إليه بالجواب الصحيح .. فقال :

- كنت أظن أن ..

وسمع إذ ذاك وقع خطوات تدنو منهما فأدار رأسه ورأى "بوهيم" و "جوان" مقبلين عليهما فأدرك أن الفرصة قد ضاعت وأن لا سبيل إلى مكاشفة المخترع بما في نفسه فقال :

- يمكن مثلا التقاط مناظر سينمائية عن الحياة في أعماق البحار

بواسطة غرفة الغوص التي اخترعتها . ومثل هذه الأفلام تكون بلا شك محلا للإقبال .

فقال "ماوكو" :

– الواقع اني لا أدري .. ما رايك انت يا مسيو "بوهيم" ؟

فارسل "بوهيم" نظرة حادة إلى "لوبين" كانها نصل سيف ماض ثم قال :

– هذه مسالة لابد من الرجوع فيها إلى رأي خبير فني .. اتحب يا استاذ أن تفحص الجهاز قبل الغداء ؟

مضى الأستاذ "ماركو" وفي رفقته "بوهيم" على حين تخلف عنهما "لوبين" و "جوان" قليلا .. وكانت هذه أول فرصة استطاع أن يخلو فيها إليها إذ كانت لا تكاد تتمشى خطوات حتى يلحق بها "بوهيم" أو "شلنبرج" . وحتى في هذه اللحظة كان "شلنبرج" جالسا على أحد المقاعد البحرية الطويلة .. ولكن يظهر انه كان مستغرقا في النوم إذ كانت قبعته على عينيه وفمه مفتوحا وهو يتنفس في هدوء وانتظام .

وقال "لوبين" يخاطب الفتاة :

– لعلك سمعت رأيي في هذه المسالة .

وكان يسير إلى جوارها فضغط ذراعها في رفق فقالت في صوت لا يكاد يسمع ودون أن تحرك شفتيها :

– أليس ثمة خطر ..؟

– الخطر كامن في كل لحظة من لحظات هذه الرحلة الانتحارية. وقد تتضاعف الشبهات إذا انا لم أحاول أن أتحدث إليك .

وأوما باصبعه إلى الفنار الذي يتراءى قائما على صخرة على مرمى البصر وقال كمن يقصد بحديثه الفنار ومن فيه :

– هناك رجل يحدق به الخطر مثلنا .. ولكنه لا يدري من الأمر شيئا .

– الأستاذ "ماركو" ؟

– نعم .. فهل فكرت في أمره ؟

– كثيرا .

– الشيء الذي يحيرني هو الطريقة التي دخل بها .! وعلى الأقل الطريقة التي سنخرجه بها .

- وأنا أيضا أتمنى أن أكشف هذا السر .

فقال "لوبين" :

- المعروف أن صاحبنا لا يهتم بالأبحاث العلمية .. وما دعاه إلى الاهتمام بالأستاذ "ماركو" إلا رغبته في الانتفاع بغرفة الغوص .. فإذا ما نجحت التجربة فقد عاد "ماركو" في نظره لا يساوي شيئا فيتخلص منه ويضع يده على الغرفة . ولكن كيف يتخلص منه .. ومتى ..؟

وتحول عن ناحية الفنار وأخذا يتابعان السير كانما انتهى حديثهما عنه .. كان "بوهيم" يراقبهما على البعد وهو واقف مع الأستاذ يفحصان الجهاز . وضحك "لوبين" ضحكة عادية وقال في نفس الصوت المجرد عن الاهتمام أو الانفعال :

- إني منزعج بشأنه .. فهو جدير بأن يحب .. وإذا أصابه سوء أنحيت على نفسي باللوم .. فإذا سنحت لك فرصة فحدثيه في الأمر فابتسمت وقالت :

- سأحاول .

ولما صارا في مرمى السمع من أذن "بوهيم" قالت متظاهرة بإتمام حديث كانا منهمكين فيه :

- ولكن زوجة عامل الفنار تتعذب كثيرا بلا شك .

- بالتأكيد .. لا سيما إذا كانت جميلة ..!

ووقف "لوبين" يتفرج على الجهاز الذي اخترعه الأستاذ "ماركو" . ولم يكن في الواقع عبارة عن غرفة بالمعنى المفهوم وإنما كان بذلة من الفولاذ ولكن جرت العادة بأن توصف بأنها غرفة تمييزا لها عن بذلات الغوص العادية التي لا يمكن استعمالها إلا في الأعماق القريبة .. وكان للبذلة وجه يشبه وجوه الدروع الحربية ولكن يختلف عنها في أن له في مكان العينين قطعتين من الزجاج غير القابل للكسر . ويتصل بالبذلة مواسير كهربائية يمكن بواسطتها إيصال الهواء النقي إلى الرجل الذي يكون في داخل البذلة وطرد الهواء الفاسد .. كما كانت هناك أنابيب أخرى لقياس ضغط الماء ودرجة الحرارة ومعرفة بعض المعلومات العلمية المهمة .

وقال "لوبين" في اهتمام وإعجاب :

- أهذه بذلة الغوص الجديدة ..؟ ولكنها فيما أرى لا تساعد من فيها على السير بها في قاع البحر ..؟

- قد يكون هذا صحيحا إلى حد ما .. ولكنها تتيح الحركة إلى الحد الذي يكفي .. لقد اخترع الدكتور "بيب" جهازا من هذا النوع أمكنه بواسطته أن يهبط إلى عمق ثلاثة آلاف قدم .. ولكن عيبه انه كان ضخما ثقيل الوزن إلى درجة يستحيل معها على عشرين رجلا أن يحركوه من مكانه خطوة واحدة أما جهازي فعلى العكس من ذلك خفيف إذ إني استعضت عن سمك الفولاذ بالوسائل العلمية التي تكفل مقاومة الضغط فامكنني بذلك أن أستغني عن ثلاثة أرباع الفولاذ الذي كانت فائدته الوحيدة مقاومة الضغط فمن الممكن الآن أن يمشى الإنسان بالجهاز .

فقال "لوبين" متجاهلا :

- الواقع أنه ليست لدي أية فكرة عن قوة الضغط في قاع البحر .

- إن الضغط على عمق ثلاثة آلاف قدم يزيد على نصف طن على البوصة الواحدة المربعة . فإذا هبط إنسان إلى هذا العمق وهو في بذلة غوص عادية سحقته المياه وجعلت جسمه وعظامه أشبه بقطعة من العجين . أما الجهاز الذي اخترعته فلا يؤثر فيه الضغط مطلقا . وفي وسعك أن تقوم بنفسك بهذه التجربة إذا شئت .

فضحك "لوبين" وقال :

- كلا . وشكرا .. فإني لا أحب أن أعجن .

واخذ "لوبين" يراقب الاستعداد للتجربة ، فقد كان هناك خطاف كهربائي أمسك بالبذلة فرفعها في الهواء وأدلاها في الماء وضغط أحد البحارة زرا خاصا فاطلقت مخالب الخطاف الجهاز . وأدار بحار آخر عجلة ملفوفا عليها حبال من الفولاذ مشدودة إلى الجهاز فاخذت ترتخي وتمتد والجهاز يهبط إلى قاع البحر تدريجيا . وكان الأستاذ في خلال ذلك يراقب أجهزة أخرى أشبه بالساعات ليتبين منها مقدار الضغط والعمق ثم رفع يده فجاة وقال :

- كفى .!

وعند ذلك كف البحار الذي كان يدير العجلة عن إدلاء الجهاز .

واخذ الأستاذ يمسح جبينه بمنديله وقد اشرق وجهه ولاحت عليه امارات الابتهاج .

وتولى المهندس الذي كان حاضرا التجربة إخراج الجهاز من البحر .

والتفت الأستاذ "ماركو" إلى الحاضرين وقال في فخر :

- ٥٠٠ قدم .! ولكني مع ذلك لا أستطيع أن أعتبر هذه التجربة نهائية .!

وما كاد الجهاز يستقر على سطح اليخت حتى أمر الأستاذ البحارة بان يفتحوا بابه الفولاذي الضخم ، ثم أسرع إلى داخله وفحص جهاز الرطوبة ثم خرج إلى أصحابه وقال :

- ليس في الجهاز اثر لقطرة واحدة من الماء .. فإذا استطعت الآن ان امشي به خيرا مما كنت أمشي بالجهاز القديم فقد نجحت التجربة .

فقال "بوهيم" في اهتمام :

- ولكنك افهمتني أن شكوكك في هذا الشان لا تستند إلى اساس .

- بالتاكيد .. بالتاكيد .. فإني واثق من النجاح . ولكن لابد من تجربة عملية تحت الماء لاختبار متانة المفصلات التي تصل ساقي الجهاز بجذعه والتاكيد من سهولة تحريكها وإن كنت أكرر عليك القول إني واثق من متانتها وأدائها الغرض المنشود على الوجه الأكمل .

أخذ "بوهيم" بذراع الأستاذ وهو يقول :

- هيا بنا الآن لنتناول الغداء .

ولبث "لوبين" طول الغداء ساهم الذهن شارد الفكر يتدبر الأمر ويقلب الراي على مختلف وجوهه ويسائل نفسه عن الخطة التي يجب أن يتبعها .. كان يسال نفسه عن الطريقة التي سيقتل بها "بوهيم" الأستاذ "ماركو" .. ومتى ينوي أن يرتكب هذه الجريمة .. ثم ارتد يتساءل عما يستطيع هو نفسه ان يفعل في هذا الشان .. وهل يتسنى له أن يجابه "بوهيم" بمفرده على حين أن خصمه مؤيد بعشرة من الرجال الأشداء الذين يتفانون في خدمته .

وانتبه بغتة من خواطره على صوت "بوهيم" وهو يقول له :

- كنت أفكر فيما سوف يرى الأستاذ في قاع البحر .. صدقني إن الحياة هناك لابد أن تكون لذيذة طريفة .

واستمر "بوهيم" في صوته الأجوف الرنان .

- إني على استعداد لأن أجعلك تختبرها بنفسك .. إذا شئت

وابتسم... وكانت ابتسامة عادية طريفة .. ولكن "لوبين" وحده هو الذي فهم مدى رهبتها وقسوتها ..! كما فهم المعنى التهديدي الذي تنطوي عليه كلماته .

الفصل الثالث والعشرون

كان على ظهر اليخت اسطوانتان مملوءتان بالاكسجين فحص الأستاذ "ماركو" بنفسه صماماتهما ليتاكد من صلاحيتهما للعمل . فلما استوثق من الأمر صافح الحاضرين ودخل جهاز الغوص فناوله أحد البحارة الأسطوانتين فثبتهما في موضعهما داخل الجهاز . ثم أغلق البحارة عليه الباب .. وبذلك صار الأستاذ حبيساً في تلك الغرفة الفولانية الضيقة التي لا يرى العالم وهو فيها إلا من خلال كوة زجاجية قريبة من وجهه .

رآه الحاضرون وهو يفحص الأزرار والمفاتيح المختلفة الموجودة في داخل الجهاز . ثم وضع على أذنيه سماعتين من المعدن متصلتين ببوق قريب من فمه . وسمع الحاضرون صوته يدوي ويرن قائلا :

- اتسمعونني ؟

فاجابه "بوهيم" من خلال البوق القريب من فمه :

- تماماً .. فهل تسمعني أنت ..؟

- بكل سهولة .. ولكن يجب أن أعمل فيما بعد على تخفيض قوة الصوت لأنه يدوى ويرن داخل الجهاز كانه طرقات المعاول .

وكان صوت الأستاذ يصل إلى الحاضرين عن طريق بوق مكبر موضوع على المنضدة فوق سطح اليخت .

وضغط الأستاذ زراً أنير بعده الجهاز من الداخل .. وعلى الضوء رأى الحاضرون على مقربة من يده اليمنى مفكرة مثبتة في مشبك خاص وإلى جانبها قلماً من الرصاص ليدون عليها ملاحظاته . وفي الناحية اليسرى راوا آلة فوتوغرافية تتصل عدستها بكوة زجاجية صغيرة لتلتقط بها ما شاء أن تلتقط من الصور في قاع البحر .

ادخل الأستاذ ذراعيه في ذراعي الجهاز واخذ يحركهما في كل ناحية ليستوثق من سهولة الحركة .. كما أخذ يفتح ويطبق الخطافات الفولانية الشبيهة بالأصابع وهي مثبتة في يدي الجهاز..

واخيراً ارتفع صوته قائلا :

- كل شيء على ما يرام .. انزلوني ..!

فقال "بوهيم" :

- ارجو لك حظاً سعيداً .!

وانطبقت مخالب الآلة الرافعة على جهاز الغوص فرفعته في الهواء وادلته في الماء .. وفي نفس الوقت كان البحار الموكل بالحبال الفولاذية المشدود إليها الجهاز يدير العجلة الملفوف عليها الحبل ليرخيه تدريجياً . ومهندس اليخت يرسل بصره من حين إلى آخر إلى الآلة الصغيرة المثبتة إلى العجلة لقياس امتداد الحبل .

وبعد ربع الساعة ارتفع صوت الأستاذ "ماركو" من خلال البوق المكبر المتصل بالجهاز باسلاك خاصة يقول :

- كفى .! العمق عندي ٥٧٥ قدما .

فنظر "بوهيم" في آلة القياس المثبتة إلى العجلة وقال :

- وعندنا أيضا ٥٧٥ قدما .

- هذا بديع .. إني واقف الآن على قاع البحر .. كل شيء على ما يرام.. وجهاز التدفئة كان عظيم الأثر لا أشعر الآن بشيء من البرد .

وكان "لوبين" واقفا يستمع إلى هذا الحوار وهو ذاهل مشدوه .. لم يعد يفكر في الماساة التي يمكن أن تنكشف عنها هذه التجربة ولا في الأخطار المحدقة به أو بصاحبته "جوان" . وإنما كان ماخوذا مفتونا بهذه التجربة الرائعة .. بهذا الصوت الآدمي الذي ينبعث من الأعماق السحيقة فيصعد إلى ظهر الأرض كانه صوت حيوان هائل يعيش في تلك المجاهل التي لا يعرف الناس شيئا عما يدور فيها !.

وتكلم "بوهيم" فقال :

- وهل في وسعك أن تمشي .؟

- أظن ذلك .. فهذا الجهاز أخف وزنا بكثير من الجهاز القديم.

- وهل يمكنك أن تنحني لتلتقط شيئاً ؟.

ساد صمت قصير .

وارسل "لوبين" بصره إلى "بوهيم" فراى على وجهه نفس الجمود الرهيب . نفس القناع الذي لا يكشف ذرة من دخيلة نفسه.. كان ولا يزال كانه قطعة من الحجر .

وارتفع صوت الأستاذ قائلا :

- نعم .. لقد التقطت حجرا من الأرض .. بكل سهولة .
واعقب ذلك ضحكة ثم قال :
- هذه سمكة وقفت تنظر إلي من خلال الكوة . وقد حاولت ان امسكها ولكنها افلتت مني .. والآن ساحاول أن امشى فمدوا لي الحبل قليلا .. ارخوا لي عشرين قدما أخرى .
ودارت العجلة بضع ثوان ثم تلا ذلك سكون عميق .. وبدا على من على ظهر اليخت وجوم غريب كانما يتوقعون نكبة غير منتظرة !؟
وخيل إلى "لوبين" ان الجو متوتر مشحون بالكهرباء . واشتد خفقان قلبه وتصلبت عضلات وجهه وبدأت اعصابه تتحفز وتتوثب.. وحين نظر إلى "بوهيم" رأى على وجهه نفس القناع الحجري .
وارتفع صوت الأستاذ "ماركو" فقال :
- إني أستطيع أن امشي بسهولة .. لقد مشيت نحو ثلاثين خطوة في جهتين مختلفتين . إن المشى بطيء ولكنه لا يتعب إلا قليلا . وجهاز الرطوبة ثابت لم يتاثر .
ارسل "لوبين" بصره إلى "بوهيم" .. ولأول مرة راى القناع الحجري يسقط عن وجهه فترتسم دلائل الظفر والانتصار في عينيه مصحوبة بامارات القسوة الوحشية .. ثم ارتد القناع إلى مكانه كما كان .
واخرج "بوهيم" منديلا مسح به جبينه وقال :
- لقد نجحت التجربة .!
على انه ما كاد ينطق بهذه الكلمات حتى ارتفع صوت الأستاذ من خلال البوق المكبر قائلا :
- لقد بدأ الهواء يقل .. يظهر أن هناك خللا في أسطوانة الاكسجين .. وربما كان احد الصمامات فاسدا .. سأستعمل الأسطوانة الأخرى . ولكن أظن انه يحسن بكم أن تخرجوني .!
فرفع "بوهيم" يده وصاح في صوت حاد :
- اخرجوه !
امسكت "جوان" بذراع "لوبين" .. وغرزت أصابعها في لحمه ولكنه لم يشعر بشيء من هذا إذ كانت المفاجاة الرهيبة قد استحوذت عليه وملأت ذهنه فلم يعد يشعر او يفكر في شيء آخر.. إذن فهذه هي المكيدة

الجهنمية التي دبرها "بوهيم" للتخلص من الأستاذ "ماركو" .! أفسد اسطوانتي الأكسجين .. أو أفرغ شطرا كبيرا مما فيهما من الهواء وأنزله إلى قاع البحر حتى يموت هناك اختناقا .! فيكون الحادث قضاء وقدرا .. لا جريمة مدبرة .

وصح ما توقعه "لوبين" إذ لبث المهندس أن قال :

- لقد أصيبت المحركات بخلل فيستحيل إدارة العجلة وإخراج الجهاز إلا بعد إصلاح هذا الخلل .

فتكلم "بوهيم" في التليفون قائلا :

- إنهم يصلحون الآلة الرافعة يا أستاذ .. وسنخرجك بعد بضع دقائق ثم التفت إلى المهندس وقال :

- عجل بإصلاح هذا الخلل .. وإياك أن تتهاون .

وبعد فترة قصيرة ارتفع صوت الأستاذ قائلا :

- أرجو الا يكون الخلل خطراً فإن الأسطوانة الثانية معطوبة ايضا .. وقد بدا الضغط يشتد فأرجوكم أن تسرعوا ؟

كان "لوبين" واقفا في مكانه كأنه تمثال من الحجر : عضلات وجهه متصلبة .. وعيناه باردتان كحد السيف .. وقبضته متوترة وقد انغرزت أظفاره في راحة يده حتى كادت الدماء تسيل منها !

ها هو ذا الأستاذ "ماركو" يموت أمام عينيه .. بجريمة مدبرة بعناية . وهاهو ذا يقف عاجزا مكتوف اليدين لا يملك أن يخف إلى نجدته وإنقاذه . وهل في وسعه أن يفعل شيئا حيال الآلة الرافعة المعطلة !؟ إنه كان يعلم أنها غير معطلة .. وما تلك الحجة إلا ادعاء كاذب يراد منه التوسل إلى ابقاء الأستاذ "ماركو" في قاع اليم حتى يفسد الهواء فيموت اختناقا .. ولكن كيف يتدخل ؟ وكيف ينقذه ؟

وهتفت "جوان بارلو" تقول في صوت متوسل :

- أليس في وسعنا أن نفعل شيئا ؟

فأجابها "بوهيم" قائلا :

- إنني لست مهندسا ولا افهم في المسائل الميكانيكية .

وبعد لحظات صعد المهندس من بطن اليخت وقال :

- لقد احترق الموتور .. والعمال منهمكون الآن في إصلاحه وساد

الحاضرين وجوم طويل . وأيقن "لوبين" أن اللحظة الرهيبة قد دنت .
وارتفع صوت الأستاذ "ماركو" يقول :
- لقد بدأ الهواء يفسد .. ويخيل إلي أني أوشك أن أختنق .. فماذا جرى؟
فأجابه "بوهيم" في هدوء :
- إننا نحاول أن نصلح الآلة الرافعة .
وبعد لحظات تكلم الأستاذ قائلا :
- كاد الهواء ينفد !
وكان صوته مبحوحا متهدجا .. ونظر "لوبين" إلى "جوان" فرآها ممتقعة اللون وصدرها يعلو وينخفض وقد نمت عيناها على التأثر الشديد .
وتكلم "لوبين" قائلا :
- ألا يمكنك أن تصل الحبال بآلة أخرى رافعة ؟
- ليس في اليخت آلة أخرى يمكن أن تحتمل هذا الثقل .
- إذا كان لديك كتل ضخمة من الحديد أمكننا أن نربطها في طرف الحبال ونُدليها في البحر من الناحية الأخرى فتهبط على حين يرتفع الجهاز من الجهة المقابلة .
- إن إخراج الجهاز بواسطة الآلة الرافعة يستغرق ثلث ساعة .. وإخراجه بالطريقة التي تقول عنها لا يمكن أن يستغرق أقل من ساعة . على حين أن الهواء الموجود في الجهاز لا يكفي أكثر من بضع دقائق .
وأدرك "لوبين" أن "بوهيم" على حق فسكت .
وارتفع صوت الأستاذ يقول :
- بدأ الدوار يصيبني ! أشعر بضغط على صدري ! أسرعوا وإلا فلا فائدة !
أدرك "لوبين" أن ساعة العمل قد حانت .. وأن لا داعي للانتظار أكثر من هذا . فتظاهر بأنه يتمشى على ظهر اليخت حتى إذا اقترب من "شلنبرج" الذي كان واقفا إلى جوار الأزرار التي تحرك الآلة الرافعة أخرج مسدسه فجأة وصوبه إلى "شلنبرج" وهو يقول:
- ابتعد عن الأزرار !

فظهرت الدهشة على وجه "شلنبرج" وقال :

- ماذا دهاك يا مسيو "كوشيه" !

وارتفع صوت "بوهيم" قائلا :

- اجننت يا "كوشيه" !

فاجابه "لوبين" في صوت رهيب :

- لم اجن بعد .. ولكني ساجن فورا إذا أبى "شلنبرج" أن يتنحى عن هذه الأزرار .. وفي هذه الحالة ستفقد "شلنبرج" إلى الأبد !

فقال "بوهيم" في صوت هادىء كانما يخاطب رجلا ثملا أو معتوها :

- ولكن ما الفائدة من هذه الثورة الجنونية يا مسيو "كوشيه" وأنت ترى اننا لم ندخر وسعا في عمل كل ما نستطيع ؟

- هناك شيء واحد لم يعمل بعد .. فتنح يا "شلنبرج" عن الأزرار وسترى أن الآلة الرافعة غير معطوبة ..!

- ولكن يا عزيزي "كوشيه" ..

وفي هذه اللحظة ارتفع صوت "جوان بارلو" وهي تصيح محذرة:

- وراءك ..!

واستدار "لوبين" في حركة سريعة فرأى بحارا قد اقترب منه من الخلف وفي يده هراوة من الحديد وقد رفعها وهم بان يهوي بها على رأسه.

استطاع "لوبين" أن يتقي الضربة التي سددها إليه البحار .. ولكنه لم يستطع أن يتقي الضربة التي سددها إليه "شلنبرج" إذ اغتنم الفرصة واختطف إحدى الأدوات الحديدية الموضوعة إلى جانبه وهوى بها على رأس "لوبين" .

وخيل إلى "لوبين" أن عينيه وثبتا من محجريهما .. وبدأت الدنيا تدور أمام بصره .

ثم أعقب ذلك ظلام دامس ..!!

الفصل الرابع والعشرون

عندما فتح "لوبين" عينيه الفى نفسه جالسا على احد المقاعد وعلى مقربة منه "بوهيم" و "شلنبرج" ويد كل منهما في جيبه دلالة على انهما على استعداد لمواجهة اي خطر . وكان "لوبين" غير مقيد ، حتى ليخيل لمن يراه انه ضيف يزور صاحبيه .

وقال "لوبين" :

- لم يكن هناك مفر مما حدث .. فقد كنت بين نارين فإما ان ينالني البحار من الخلف .. وإما ان ينالني "شلنبرج" من الأمام .. إني اهنئك ياعزيزي ببراعتك في وضع الخطط .. ولكن كيف حال الأستاذ ..؟

فكان الجواب :

- مما يؤسف له أن الآلة اصلحت بعد فوات الوقت يا مسيو "لوبين" .

فهز "لوبين" راسه وقال :

- إذن فقد عرفت اسمي ..!

- بالتاكيد .. الا تذكر ذلك الصحفي المصور الذي التقط صورتنا ونحن جالسون مع الأستاذ في المطعم ..؟ إنه جاسوس من جواسيسي.. وقد سافر بالصورة إلى باريس وعرضها على بعض الأصدقاء فعرفوا شخصيتك .. والبرقية التي جاءتني في هذا الصباح ونحن على ظهر اليخت كانت تتضمن هذه البيانات . فدعاني هذا إلى ان اغتال الأستاذ "ماركو" قبل الوقت الذي كنت قد حددته .. فمادام "لوبين" قد برز إلى الميدان فالحكمة تقضي بسرعة العمل .

وانتقل "لوبين" بخواطره إلى "جوان بارلو" .. كانت حتى هذه اللحظة لا تزال في موقف تعتوره الشكوك .. أما وقد صرخت تحذره من مهاجمة البحار له فقد انكشف من امرها ما كانت تخفي . واخذ يسائل نفسه عما فعل بها "بوهيم" .. ولكنه لم يجرؤ على أن يوجه إليه هذا السؤال خشية ان يزيد الموقف تحرجا بالنسبة إليها .

وتمتم "لوبين" يقول :

- وماذا تنوي أن تصنع بي ..؟

- إن الأمر متوقف عليك انت .

وساد صمت قصير قطعه "بوهيم" بقوله :

- لقد سببت لي يا "لوبين" متاعب جمة .. والحادث الذي وقع يمكن ان يعد نكبة لم اكن على استعداد لمواجهتها .

- اتقصد موت الأستاذ "ماركو" ..؟

فهز "بوهيم" راسه قائلا :

- كلا .. فبقاء الأستاذ او موته سيان عندي ما دامت التجربة قد نجحت .. ولكني أقصد الرجل الذي سطا على يختك بالأمس .

فضحك "لوبين" هازئا وقال :

- إنك فيما أرى رجل له قلب يشعر ويحس .. أيحزنك موت هذا اللص العادي؟

- إنه لم يكن لصا عاديا .. بل هو ابرع رجل في أوروبا في تحطيم الخزائن .. ومن هذا ترى اني في حاجة إليه . فيجب ان تعيده إلي على الفور .

- هذا مستحيل يا صديقي .. فإن ما تطلبه لا يستطيعه إلا رجل يستحضر الأرواح .

- أتريد أن تقول : إنك أصدقتني القول حين قلت إنك قتلته ..؟

- إن "لوبين" لا يكذب يا عزيزي .

- وانت الذي قتلته ؟

- خادمي "بيير" .. والأمر لا يمكن ان يسمى قتلا إلا إذا وصفنا موت الأستاذ "ماركو" بهذا اللفظ .

- وهل ذهبت به إلى الشاطئ ؟

- لا .. فمن كان مثلي لا تبلغ به الحماقة ان يذهب إلى مخافر البوليس حاملا جثة قتيل وإلا عرض نفسه لأسئلة يوجهها إليه بعض رجال البوليس السخفاء .

- إذن ماذا فعلتم به ؟

- دفناه في قاع البحر .

وجعل "بوهيم" يتفرس في "لوبين" ثم قال :

- إني أصدقك .. بل قد صدقتك وانت تروي لنا الحكاية في الصباح .. وهذا هو الذي دعاني إلى الإبقاء عليك حيا إلى الآن .

- ما اكرمك !

- أما متى تموت فهذا امر يتوقف عليك انت .

وكان "بوهيم" قد امر احد البحارة بان يحمل إلى "لوبين" كاسا من الشراب فتناول هذا جرعة صغيرة ثم قال :

- دع اللف والدوران وصارحني بما في نفسك .

- إنك مسؤول عن مصرع هذا الرجل .. وليس من السهل أن أستعيض بسواه عنه . والوقت ضيق لا يحتمل الإمهال ولهذا ساطلب إليك أن تحل مكانه .

فابتسم "لوبين" وقال :

- ماذا تقصد ؟

- اسمع يا "لوبين" .. إننا ذاهبون الآن إلى الموضع الذي غرقت فيه الباخرة شلفونت في شهر مارس الماضي على مقربة من فنار كاسكيه .. ولعلك لا تزال تذكر أن هذه السفينة كانت تحمل شحنة من السبائك الذهبية قيمتها خمسة ملايين من الجنيهات .. وهذه الشحنة مودعة في الخزانة الحديدية الخاصة بالباخرة . وكنت قد اتيت معي بالرجل الذي قتلته انت ليحطم هذه الخزانة فهو كما قلت لك ابرع رجل في أوروبا في تحطيم الخزائن .. فالآن وقد خسرته لا مفر لي من أن أستعين بابرع رجل في العالم (لا في أوروبا وحدها) في تحطيم الخزائن .. أعني بك أنت !

أدرك "لوبين" في هذه اللحظة لماذا أبقى عليه "بوهيم" حيا . وقال له:

- أتريد أن تنزلني إلى قاع ألبحر لأحطم خزانة الباخرة ؟

- هذا هو قصدي .

- في جهاز الأستاذ "ماركو" ؟

- كلا .. بل في جهاز غوص عادي .. فإن الباخرة شلفونت مستقرة على عمق مائة وعشرين قدما فقط . والأجهزة العادية تكفي لبلوغ هذا العمق .

- أمعنى ذلك انك تعرض على أن أكون لك شريكا ؟

- بل أعرض عليك فرصة لإنقاذ شريكتك .

وشعر "لوبين" بأن قلبه وثب في صدره .. إن "بوهيم" يهدده بقتل

حبيبته "جوان بارلو" إن هو ابى أن يرضخ لما يطلب منه . وفي مثل هذا الموقف يكون الرفض حماقة وجنونا .. ولكنه قال زيادة في الاستفسار :

- وماذا يحدث إذا أنا رفضت ؟

فهز "بوهيم" كتفيه قائلا :

- إنك يا "لوبين" أذكي من أن تسألني أن أطلعك على ما أنوي فأنت تعلم ما يجري في خاطري . ولكن إذا نفذت ما أطلب منك أوصلت "جوان بارلو" إلى الشاطىء في الوقت المناسب سالمة وعلى قيد الحياة .

- أهذا كل شيء ؟

- حسبك هذه المنحة .

- وما يدريني أنك ستبر بوعدك ؟

- لا شيء بالتأكيد .. ولكن عليك أن تختار أهون الشرين . ومادام الأمر موكولا إلى إرداتي فتلبيتك رغبتي يفسح لك على الأقل وقتا ترجو فيه وتؤمل وتدبر وسائل الخلاص . وأنا أعلم أنك رجل لا يداخله اليأس إلا بعد أن يزهق النفس الأخير .. فلديك ربع الساعة لتأتيني بعدها بما استقر عليه رأيك !

الفصل الخامس والعشرون

لم يمض "لوبين" هذه المهلة على ظهر اليخت وإنما امضاها في الغرفة السرية المصفحة التي أمر "بوهيم" بنقله إليها . فما كاد يدخلها حتى الفى "جوان بارلو" جالسة فيها فاحتواها بين ذراعيه وقبلها وقال لها :

– أخيرا قد التقينا .

فابتسمت وقالت في شجاعة :

– التقينا لنفترق .. الفراق الأبدي .. ولكني سعيدة مع هذا !

فهز "لوبين" كتفيه في غير اكتراث وقال :

– إن أمامي ربع الساعة اظل فيها سعيدا .

ثم قص عليها ما كان من حديث "فون بوهيم" معه فقالت له :

– وهل تنوي أن تفعل ما يطلب إليك ؟

– بالتاكيد .. فالرضوخ هو ثمن النجاة .

– وهل صدقت وعده ؟

– ولم لا ؟ إن اللص لا يقدم غالبا على جريمة القتل إلا إذا الفى نفسه في مازق لاخلاص منه إلا بارتكاب هذه الجريمة .

– انسيت انه قتل الأستاذ "ماركو" ؟

– هذا بالتاكيد .. والدافع إلى القتل هو انه اراد أن ينفرد بالاستيلاء على غرفة الغوص دون أن يشاركه احد في معرفة سر هذا الاختراع .. ولكن أي دافع يحمله على قتلنا نحن ؟

– ليضمن سكوتنا وعدم إفشائنا قتله الأستاذ "ماركو" .

– وهل لدينا دليل على انه قتل الأستاذ "ماركو" عمدا ؟ إن ما شهدناه يدل على انه بذل كل جهد في سبيل إنقاذه .. ولكن ما حيلته وقد تعطلت الآلات ؟ ومن المستحيل أن نثبت العكس وعنده من الشهود عشرة يؤيدون كل حرف مما يقول . فبقاؤنا على قيد الحياة لن يؤذيه في شيء. أما موتنا فلن يفيده لأنه يعلم بالتاكيد أن لنا أصدقاء في الخارج

يعلمون مثلما نعلم انه لص السفن الغارقة . فإذا كان دافعه إلى قتلنا رغبته في كتمان هذه المعلومات فلن يفلح في ذلك لأن أصدقاءنا على معرفة بنفس المعلومات فضلا عن انهم يعرفون اننا في هذا اليخت .. فإذا لم نرجع سالمين كان موقفه حرجا .. وفي سانت بيتر من رجالي "كولمان وجيبلبرت" .

فقالت "جوان معترضة :

– قد يكون كلامك صحيحا فيما يتعلق بي انا شخصيا .. فهو يعلم اني لا املك شيئا حياله إلا في حدود القانون .. ومادام شهوده حاضرين فلن يؤذيه إطلاقه سبيلي لأني عاجزة عن ان اثبت شيئا ضده. أما بالنسبة إليك فالأمر يختلف عن هذا . لأنك قد ترجع إليه مع عصابتك فتبطش به . ولذلك استغرب كيف تبلغ به الحماقة أن يفرج عنك .

فابتسم "لوبين" وقال ضاحكا :

– لو انك كنت قاضية لأرعبت المتهمين باسئلتك الدقيقة .

– ولكني أريد جوابا عن اعتراضي .؟

– يحتمل انه يعتقد اني بدات اخشى وساكف عن النضال بعد أن رايت من بطشه وقوة بأسه .

– في هذه الحالة يكون "بوهيم" أغبى الأغبياء .

وذلك لأن "ارسين لوبين" حين قص عليها حديث "بوهيم" ذكر لها انه طلب منه تحطيم الخزانة مقابل إطلاق سراحهما . وكتم عنها أن الثمن هو إطلاق سراحها هي وحدها .

وسمعا دوي قارب بخاري فنظر "لوبين" من خلال الكوة فرأى قارب اليخت يتجه إلى فنار كاسكيه الذي كان على مسافة بضع عشرات من الأمتار وعلى ظهره "فارن شلنبرج" مع ثلاثة من البحارة . وارسل "لوبين" بصره إلى الفنار فرأى العاملين مستندين إلى السياج وهما ينظران إلى ناحية اليخت فارتسمت ابتسامة حزينة على شفتيه وقال :

– سيقتل "شلنبرج" عاملي الفنار حتى لا يريا عملية انتشال الذهب

وحين رجع القارب إلى اليخت كان شبح العاملين قد اختفى من شرفة الفنار فتمتم "لوبين" يقول :

- هذان بريئان آخران ذهبا ضحية على مذبح الجشع ..!

وأعقب هذا وقع خطوات تدنو من الباب فاحتوى "لوبين" الفتاة بين ذراعيه وقبلها ثم قال :

- أخائفة انت ؟

فنظرت في عينيه وقالت :

- ليس الآن ! وإن كنت لا اكتم عنك اني لا احب ان اموت وقبلها "لوبين" مرة أخرى .. وامسك بوجهها متفرسا في عينيها .. وجعل يلمس شعرها ووجنتيها .. وجبينها .. كما يلمس العابد صنمه المقدس متبركا به ..

وكانت عيناها حالمتين ووجهها وديعا ..

وتمتمت تقول . إنك ستظل تذكرني كما انا الآن ؟

- دائما .

- انهم آتون .

فتح الباب وظهر على عتبته "فون بوهيم" ويده في جيبه فوق مقبض مسدسه وخلفه رجلان . وقال :

- والآن ما هو جوابك ؟

فقال "لوبين" في صوت هادئ :

- إني على استعداد لما تريد .

واقتيد "لوبين" إلى ظهر اليخت فقدموا إليه بذلة غوص عادية من الطراز الذي يستعمل للوصول إلى الأعماق القريبة . فشرح له "بوهيم" كيفية استعمالها قائلا :

- .. فإذا أدرت هذا المفتاح تسرب منها الهواء وهبطت مساعدة الأثقال التي سنضعها فوق كتفيك تدريجيا . فإذا ما بلغت القاع فأدر المفتاح مرة أخرى بحيث يدخل إليك من الهواء القدر الذي يكفي للتنفس وهاك أدوات تحطيم الخزائن التي كان قد أعدها صاحبنا الذي قتل .

وسيرافقك "كارلوف" ليرشدك إلى مكان الخزانة إذ إني بينتها له على الرسم الذي يمثل غرف البواخر . كما أنه سيحمل الشعلة الهيدرواكسجينية التي تستعمل لإذابة الفولاذ تحت الماء .. وسيستعملها طبقا لإرشاداتك فقال "لوبين" :

– لقد فهمت .

– وساكون على اتصال بكما طول الوقت بالتليفون فارجوك أن تخطرني أولا باول عما تفعل .. وإذا ما نجحت في تحطيم الخزانة فعليك أن تساعد "كارلوف" على نقل الذهب إلى الآلة الرافعة التي سندليها إلى القاع .. واظن ان هذه هي كل تعليماتي .

ولبس "كارلوف" بذلة غوص مماثلة ، ثم سمع "لوبين" صوت "بوهيم" وهو يخاطبه تليفونيا :

اتسمع صوتي ؟

– نعم .

انطبقت مخالب الآلة الرافعة على جهازي الغوص واخذت تدليهما إلى الماء . وبعد بضع دقائق وقد اقترب الجهاز من القاع شعر "لوبين" بالبرودة الشديدة تسري إلى بدنه حتى خيل إليه أن يديه توشكان أن تتجمدا . ولما استقر على الأرض سمع صوت "كارلوف" الذي كان على قيد خطوات منه يقول :

– أدر مفتاح الهواء .

فعرف أن الجهاز التليفوني الذي يصله باليخت فيه تحويلة تصله ايضا بجهاز "كارلوف" .

ومشى "كارلوف" بضع خطوات و "لوبين" في أثره حتى الفى نفسه امام حطام السفينة ففتح جراب الأدوات الذي كان يحمله معه وشرع يعالج باب الخزانة الحديدية الضخمة التي تضم بين جدرانها سبائك ذهبية قيمتها خمسة ملايين من الجنيهات .

وعلى الرغم من حرج الموقف .. وعلى الرغم من أن "لوبين" كان يعرف ان هذه المغامرة هي خاتمة حياته إلا انه ما ملك أن شعر بتوتر أعصابه

إذ كانت هذه اول سرقة من نوعها يقدم عليها .. لقد سرق على ظهر الأرض .. وفي الجو .. وفي البحر .. ولكنه لم يرتكب قط سرقته في قاع البحر ..!

وتكلم "لوبين" في التليفون قائلا : لقد شرعت أعمل .

وكانت "جوان" تنظر إلى الماء كانما تتوقع ان يثب "لوبين" من الأمواج كما خرجت إليه يوما في الضباب . اما "بوهيم" فكان جالسا على مقعد ووجهه الحجري لا ينم عن شيء مما يجري في نفسه .

وتتابعت الدقائق .. وكانت مثقلة رهيبة .. اترى يفلح "لوبين" في تحطيم الخزانة وهي من طراز يعجز دون فتحه اعظم الخبراء ..؟ وإذا فتحها فما الذي يمكن أن يترتب على هذا من النتائج ؟

وبعد أربعين دقيقة ارتفع صوت "لوبين" يقول في هدوء :

- فتحت الخزانة ..!

ولأول مرة أشرق وجه "بوهيم" إذ كان يعتقد ان فتحها احد المستحيلات ..!

الفصل السادس والعشرون

ما كاد صوت "لوبين" يخفت حتى ارتفع صوت "كارلوف" يقول:

- نعم .. لقد فتح الباب .. والخزانة مملوءة بالذهب ..!

- وماذا تريد منا أن نرسل إليك ..؟

- إن نقل هذا الذهب يستغرق وقتا طويلا ، ولكن انتظر لحظة .

وبعد لحظات ارتفع صوته ثانية يقول :

- إن الخزانة مجاورة للسلم .. وفوق السلم سقف من البللور .. فإذا حطمناه أمكن أن تدلوا إلينا الرافعة فتدخل خطافها من الفجوة التي أحدثناها وننقل الذهب بواسطتها .. وهذا يوفر شطرا كبيرا من الوقت.. ولكننا لا نستطيع أن نمكث هنا إلا دقائق قليلة فقد مضى علينا نحو ثلاثة أرباع الساعة .

ففكر "بوهيم" ثم قال : حطم الزجاج أولا ثم نسحبك بعد هذا .

والتفت إلى اثنين من رجاله المجتمعين حوله وقال :

- استعد يا "رانفيل" أنت و "فاريل" للهبوط فور خروجهما .. أما أنت يا "بيلاندين" فتول إدارة الآلة الرافعة .

واسترسل يصدر أوامره وتعليماته إلى أن ارتفع صوت "كارلوف" يقول :

- لقد أحدثنا ثغرة كبيرة في السقف البللوري فاسحبونا الآن فقد بدأ الهواء يفسد .

فأومأ "بوهيم" برأسه إلى أحد رجاله فشرع يدير العجلة المشدود إليها جهاز الغوص الخاص بـ"كارلوف" .

ونهض "بوهيم" واقفا ومشى في غير اكتراث صوب الأنابيب المتصلة بالجهازين .. وكانت مشية هادئة غير حافلة شأن الرجل الذي يهم بأن يقذف إلى البحر بعقب سيجارته .

ثم انحنى فوق إحدى الأنابيب المطاطية .

وكان اقترابه منها محفوفا بالجمود وعدم الشعور إلى درجة أنكرت

معها "جوان" انه مقدم على جريمة هائلة وانه ينوي أن يحبس الهواء النقي عن "لوبين" فظل يتنازعها الشك في نيته إلى أن ادركت اخيرا الحقيقة الهائلة .

واتسعت حدقتاها رعبا .. لقد رات من قبل اناساً كثيرين يموتون. بل لقد جابهت هي نفسها الموت .. ومنذ فترة وجيزة رات الأستاذ "ماركو" وهو يقتل بمثل هذه الطريقة .. ولكنها ما شعرت من قبل بمثل هذه البرودة التي سرت في مفاصلها .. وما شعرت بمثل هذا الفزع الذي اعتصر قلبها حتى كاد يسحقه سحقا ..

ودون أن تشعر بما تقول او تفعل .. أو يجري في خاطرها ، كانت قد وثبت إلي ناحية "بوهيم" في غير وعي منها فتعلقت بذراعه وابعدت يده في عنف عن الأنبوبة المطاطية . وتناهى إلى سمعها صوت باك متوسل يقول : كلا .. كلا ..! لا تفعل هذا ..!

وادركت لدهشتها انها إنما تسمع صوتها ..!

– كلا .. كلا ..!

– ماذا جرى يا عزيزتي "جوان" ..؟

وكان "بوهيم" يتفرس فيها بنظرات تدل على الازدراء والاستخفاف وكانت واقفة إزاءه ويدها قابضة على ذراعه .. وصدرها يعلو ويهبط بشدة كانما جاءت تجري إليه من مسافة بضع مئات من الامتار .. ثم ضاعف من انفعالها أن رأت العجلة التي تسحب جهازي الغوص قد توقفت فجاة .

وهتفت "جوان بارلو" قائلة :

– لماذا فعلت هذا ..؟

– ماذا فعلت ..؟

– اوقفت إخراجهما ..؟

– يا عزيزتي هذه هي العملية الطبيعية . فالرجل الذي يلبث في قاع البحر ثلاثة أرباع الساعة تتشبع دماؤه بالنتروجين .. فإذا اخرج من الماء بسرعة وارتفع عنه الضغط الهائل فإن الغاز سيجعل دماءه تنبثق

الماء بسرعة وارتفع عنه الضغط الهائل فإن الغاز سيجعل دماءه تنبثق من مسامه كما يحدث عندما يفور الشراب إذا ما رفعت السدادة ويصاب في هذه الحالة بالشلل المعروف باسم شلل الغواصين . فيجب إذن أن يرفع عنه الضغط تدريجيا .. ولهذا نظام معين مبين في جداول توضع خصيصا لهذا الغرض .. لقد أوقفتهما على عمق ثلاثين قدما ليبقيا هناك نحو خمس دقائق.. ثم عشر دقائق .. على عمق عشرين قدما . ثم ربع الساعة على عمق ..

وادركت "جوان" انه يهزا بها ويموه عليها فصاحت في انفعال :

- ولكنك كنت تهم بان تفعل شيئا آخر .

- ماذا تعنين يا عزيزتي ؟

- كنت تنوي ان تعطل إحدى انابيب الهواء .

- يا عزيزتي .

- أما كنت تنوي أن تفعل هذا ؟

فنظر إليها في برود كانما يتفرج على طفلة تلهو فصاحت به :

- لا داعي للكذب .. إني أعرف أنك كنت ستقتله !

رأت سحنته وقد انقلبت وارتسمت عليها أمارات القسوة وسقط القناع الحجري الذي يخفي وراءه انفعالاته وعواطفه .. ثم قال :

- وهبيني كنت ساقتله ؟ فإلى اية درجة يحزنك موته ؟

فكان جوابها :

- يحزنني إلى درجة لا تستطيع انت ان تفهمها .. او تتصورها ثم انطلقت الكلمات من فمها جارفة .. قوية .. طاغية .. كالسيل الداهم :

- إني أعرف سبب نزوله .. إني أعرف سبب موافقته على أن يفتح لك الخزانة .. إنه ما كان ليفعل هذا لينقذ حياته .. إن من كان مثله لا يمكن ان يصدق كلمة تصدر عنك .. لقد عرف انك اعتزمت أن تقتله فور فتحه الخزانة .. ولكنه لم يكن خائفا .. لقد رأيته .. وتحدثت إليه .. لقد حاول ان يخفي عني الحقيقة .. كان رائعا في موقفه ! كان شهما ! ولكني ادركت ما يخفي ! لقد عرفت انه إنما رضي بأن يحطم الخزانة لكي ينقذ

حياتي أنا .. أما حياته هو فكانت مرتخصة لا شان لها !

فابتسم "بوهيم" وقال في تهكم :

- إذن فـ"لوبين" شهم نبيل ! يموت لكي ينقذ شرف سيدة ..! لا ريب اني إذن لم افهم نفسيته حق الفهم .!

ثم ضحك ضحكة رهيبة وصاح في صوت عنيف :

- ايتها الحمقاء ! إن "لوبين" ليس من هذا الطراز !

- لقد قلت له إني لا أحب ان اموت .. ففعل هذا ليمنحني الحياة.

فهز "بوهيم" كتفيه قائلا :

- يا له من شهم نبيل !

- الم اقل لك إنك لن تستطيع ان تفهم ؟! إنك ساومته على حياتي، وعدته بان تبقي على حياتي إذا رضخ لما تريد منه ! أليس كذلك ؟

فتنهد "بوهيم وقال :

- لقد هيات له على أية حال فرصة يظهر فيها نبله وشهامته !

وانحنى ثانية فوق انبوبة الهواء .. ولكنها عادت تبعده عنها وهي تصيح متوسلة :

- أرجوك أن تطلق سراحه .! دعه وشانه .!! إكراما لي !

- إكراما لك !

وضحك "بوهيم" ضحكة جنونية هائلة ثم صاح يقول في صوت متهدج :

- إكراما لك ! اتحسبين ان لك عندي مكانة تجعلني اقيم وزنا لرجائك وتوسلاتك ؟! لقد حاولت أن تخدعيني . حاولت أن تهدميني بجمالك وإغوائك .. ولكنك كنت تنوين ألا تقدمي إلي شيئا ! ومع هذا فمن اجلك جازفت .. وقذفت بنفسي إلى الأخطار والمهالك .. من أجلك قامرت بكل شيء لكي ابقيك إلى جانبي وانا اعلم انك تدبرين لي المكائد وتتهيئين لطعني من الخلف . إني ما كنت غبيا او مجنونا ! كنت عليما بنواياك الخبيثة! ولكني كنت احبك ! لو انك القيت إلي إذ ذاك امراً لصدعت به ونفذته على الفور ! أما الآن فليس لك ان تامري ! بل ليس لك ان تتضرعي وتتوسلي !

واستدار ثانية إلى الأنبوبة فجذبت "جوان" ذراعه فقال لها :

- ابتعدي .. وإلا أمرت رجالي بشد وثاقك !

- إنك لم تنل مني كل ما تبتغي . فإذا قتلته لم تنل مني شيئا !

- بل سأنال منك ما أشاء .. انسيت أنك أسيرة لدي ؟

- إذن فنل مني ما شئت عنوة إذا كان هذا ما يرضيك !

- إنه يرضيني .

- ولكني أستطيع أن أعطيك .

وسكتت .. فقال "بوهيم" : ماذا ؟

وجعل يتفرس فيها ويدير عينيه في قوامها الغض الفتان ويتأمل صدرها الناهد المغري ويلتهم بعينيه الملتهبتين شفتيها الدقيقتين . وهو يلعق شفتيه وقد أرسلت عيناه بريقا ينم عن تلك الثورة الجارفة التي اشتملت بدنه وسرت في دمائه .

وتمتم قائلا :

ـ ماذا ؟.

وكان صوته متهدجا .. مبحوحا .. كأنه فحيح الأفعى !.

وغضت "جوان" من بصرها وقد مشت في أوصالها رعدة باردة. ثم أغمضت عينيها وغمغمت قائلة :

- إذا تركته يرحل بسلام عشت معك .. لا تقتله ، أمنحك من شبابي وجسمي ما شئت .. وعن طيب خاطر .!

الفصل السابع والعشرون

حين الفى "لوبين" نفسه على ظهر اليخت لم يصدق انه لا يزال على قيد الحياة .. كان يوقن اشد اليقين بان "بوهيم" سيتركه يهلك في قاع البحر كما اهلك الأستاذ "ماركو" من قبل .. لقد حطم له الخزانة ومهد له السبيل إلى الذهب فلم يبق عليه بعد ذلك وليس ثمة منفعة يمكن ان ترجى من وراء حياته .؟ بل على النقيض ستكون حياته مفضية إلى متاعب كثيرة .. إذ إنه لن يصل إلى الشاطئ حتى يرتد ثانية في نفر من رجاله فيبطش بـ"بهويم" وعصابته .

ولكنه مع ذلك لا يزال حيا يتنفس ويسمع ويرى .. فما السر في هذا الإبقاء عليه .؟ وجعل "لوبين" يكدح ذهنه محاولا ان يصل إلى جواب معقول .؟ أيكون "بوهيم" أبقى عليه خوفا مما قد يترتب على موته من النتائج إذ يفكر أصدقاؤه في مهاجمة اليخت .؟ ولكنه سبب غير معقول فعصابة "لوبين" إذا فقدت زعيمها كانت اقل خطرا واتفه شانا مما لو هاجمت اليخت و "لوبين" على راسها .!

كان حيا دون أن يعرف لماذا بقي حيا .. بل ودون ان يعرف إلى متى تدوم عليه نعمة الحياة وإن كان يؤمن في قرارة نفسه بأن هذه النعمة لن تطول كثيرا .

ولكن "لوبين" كان كما قال "بوهيم" : رجلا لا يفقد الأمل إلا بعد ان يلفظ النفس الأخير . فلما كان في قاع البحر يعالج الخزانة الحديدية دس في طيات البذلة الفولاذية أداة صغيرة لتهشيم الأقفال اختلسها من جراب الأدوات التي أعطيت له ليحطم بها الخزانة . فلما صعد إلى ظهر اليخت وأخرجوه من البذلة وقف مستندا إليها برهة متظاهرا بالأعياء ثم طلب قدحا من الشراب يرد إليه نشاطه وقوته التي انهكها الضغط واحتباس الهواء . واغتنم فرصة فالتقط الأداة من طيات الفولاذ ودسها في كمه ثم تهالك على أحد المقاعد في انتظار الكاس .

لم يكن يدري ما ينوي أن يفعل بهذه الأداة . ولكنه اراد ان يتهيا

لظروف قد تجد ولا يعلم عنها شيئا .

واقبل عليه "بوهيم" فقال : يظهر انك كنت محقا عندما وصفت مساعدي القتيل بانه لص عادي فإني إذا قسته إليك الفيت كفايته في تحطيم الخزائن موضعا للاستخفاف .

فتمتم "لوبين" في تواضع : ليس من الإنصاف ان تقارن بي مخلوقا .! ولكن ما الذي تنوي أن تفعله بي بعد هذا الثناء .؟

- سارسلك إلى الغرفة المصفحة لتبقى فيها ريثما افكر في شانك

واقتيد "لوبين" إلى الغرفة المصفحة واغلق بابها عليه من الخارج . فارتمى على الفراش واغمض عينيه وهو لا يزال يعجب ويتساءل عن السر الذي ابقى عليه حيا حتى الآن .! وما كان اهون من أن يموت في حادث من حوادث القضاء والقدر فيحبس عنه "بوهيم" الهواء النقي ثم يزعم أن الجهاز تعطل كما فعل بالأستاذ "ماركو" من قبل .

كانت "جوان بارلو" على ظهر اليخت . ورآته وهو يهبط إلى الغرفة المصفحة ولكنها لم تدر رأسها إليه إذ كانت تعلم أن الثمن الذي دفعته لافتداء حياته ثمن باهظ . وأن "لوبين" لا يرضى بهذا.

ثم سمعت صوت "شلنبرج" يقول : ومتى ننتهي من العمل ..؟

- لا ادري .. ولكن اظن انه لابد لنا من أن نرسل "كارلوف" ومعه شخص آخر حين يدرك التعب "رانفيل وناريل" .. ويخيل إلي اننا لن نصل إلى سانت مارتن إلا بعد هبوط المساء .

- وهل هم في انتظارنا ؟

- سأخطرهم الآن بقدومنا .

كانت "جوان" مستندة إلى السياج تنظر إلى البحر ولا ترى شيئا . فلما وجه إليها "بوهيم" الحديث سمعته ولم تفهم شيئا .. كانت أشبه بالأحياء الأموات .

اخذ بذراعها وهو يقول :

- إنك متعبة يا عزيزتي فهيا بنا لأقدم لك قدحا من الشراب .

فسارت معه دون أن تجيب ودون أن يكون لها إرادة في متابعته كأنها

امراة نومت تنويما مغناطيسيا .

وقادها إلى غرفة عجلة القيادة ثم ضغط جرسا فلما جاء الخادم امره بان يحمل إليهما اقداح الشراب .

ناولها "بوهيم" سيجارة اشعلتها ويدها ترتعد . ولكن راسها كان مرفوعا في انفة .. انفة الكبرياء التي لا تشعر ولا تحس .. وكان قلبها يخفق وينبض بشدة .

أحلت الساعة الرهيبة .؟ هل جاء الوقت الذي ينبغي ان تقدم فيه عرضها افتداء للرجل الذي تحب ؟

شعرت بالخوف يعتصر قلبها . وخيل إليها انها اوشكت ان تفقد شجاعتها . ولكنها كانت تنوي ان تقدم على تضحيتها في غير هيبة او وجل .. .. هذه التضحية البدنية . هذه المذلة . وهذا العار .. هذا الهوان النفسي – كل هذا ما هو إلا افتداء حياة غالية نفيسة . فهل تضحي بحياة رجل من اجل هذه التقاليد التي تواضع عليها الناس .؟

كانت تعلم انها تخدع نفسها بمثل هذه الكلمات الجوفاء . فالشرف كان ولا يزال مثلا اعلى تتعلق به القلوب والابصار .. ولكنها على الرغم من هذا الاعتقاد كانت مصرة على ان تلبس نفسها العار لتنقذ ذلك الرجل الذي أراد ان ينقذ حياتها وشرفها بتقديم نفسه ضحية للموت وهو يبتسم ويضحك هازئا من كل شيء كمن كان ذاهبا إلى وليمة .

وسمعت صوت "بوهيم" يقول لها : اسمحي لي بلحظة قصيرة .

وذهب إلى طرف القاعة فارسلت بصرها إليه فراته يضغط زراً في الجدار فتحرك دولاب قائم في ركن الغرفة وانكشف عن فجوة فيها جهاز للتلغراف اللاسلكي . وجلس "بوهيم" على مقعد إزاء الجهاز وجعل ينقر عليه بطريقة مورس .. وكانت "جوان" شان جميع من يعملون مع "انجربيك" تحفظ عن ظهر قلب الرموز الخاصة بهذه الطريقة وتستعملها في المهام المختلفة التي تتولاها حين يدعو الامر إلى ذلك .

فما إن سمعت نقراته حتى نفضت عنها همومها واحزانها وتنبهت فيها غريزة الشرطية السرية فاخذت ترهف السمع إلى ضرباته وتحل

رموزها .

كانت الضربات الأولى عبارة عن نداء خاص إلى المحطة التي يريد الاتصال بها . فلما تم الاتصال أخذ ينقر نقرات كان تفسيرها :

"فورتين . هاركفيل . أصل هذا المساء حوالي التاسعة والنصف أعد الفنار والأنوار الكشافة" .

وما كانت "جوان" تعلم شيئا عن الأسماء التي ذكرها في أول رسالته . ولكن الشيء الوحيد الذي علمته هو أنها تستطيع أن تستعمل هذا الجهاز نفسه في الاتصال باعوان "لوبين" .. ألم يذكر لها "لوبين" أن له في فندق رويال صديقين يدعى أحدهما "جيلبرت" والآخر "كولمان" ؟ فإذا ما استطاعت أن تغتنم فرصة دخلت هذه القاعة واستعملت الجهاز فالنجاة مؤكدة .. في وسعها أن تتصل بمحطة التلغراف اللاسلكي الموجودة في سانت بيتر . وهذه بدورها تتولى إرسال البرقية إلى الفندق . فمتى تحين هذه الفرصة النادرة ؟

وقالت "جوان" تخاطبه :

إذن فلديك جهاز لاسلكي ؟

– إن فائدته لا تقدر في كثير من الأحيان . وقد أخطرتهم بأننا سنصل الليلة .

– إلى أي مكان ؟

– إلى هاركفيل بالقرب من رأي لاهاج .. إن المكان هناك موحش حقيقة.. ولكنه لهذا السبب هو المكان الذي يتفق وأغراضي وقد أقمت هناك قصراً فخما يشرف على البحر وإني لأعلم أن الإقامة فيه ستطيب لك .

– وهل ستنزل "لوبين" إلى البر هناك ؟

فتريث برهة قبل أن يجيبها بقوله :

ـ ربما ولكن يظهر أني لن أنزله إلا بعد مضي فترة من الوقت إذ يجب أن أتخذ الحيطة لحماية نفسي .

– ولكن إذا أقسم لك بشرفه أن ..

فضحك "بوهيم" ساخرا وقال :

وهل لمن كان مثل "لوبين" شرف يعول عليه ..؟ يجب الا تركني كثيرا إلى شرفه فإن من المحتمل انه سيرفض أن يتركنا في سلام هياما بك ورغبة في أن يستحوذ عليك لنفسه .

وكانت "جوان" تخشى هذا .. كانت تخشى ان يعلم "لوبين" بسر تضحيتها فيابى أن ينال الحياة بمثل هذا الثمن فغمغمت تقول في صوت خافت :

- ولكن يجب الا يعلم بما حدث .

- هذا بالتاكيد . ولكن لابد أن نلتمس سببا وجيها نفسر به بقاءك في اليخت .

سكت "بوهيم" لحظة ثم استرسل يقول :

- وفضلا عن هذا فلابد لي من أن أصون نفسي من الأخطار . إن هذه الشحنة لا يمكن التخلص منها في غمضة عين . فالسبائك الذهبية ليست كاوراق البنكنوت في سرعة تداولها . وليس من الممكن إيداعها في البنوك .. ولهذا اتخذت لنفسي بنكا خاصا في قاع البحر أكنز فيه هذه الشحنات .. فعلى مقربة من هاركفيل .. وعلى عمق ثلاثين قدما من سطح الماء.. احتفظ بكنوزي من الذهب والجواهر في مكان لا يمكن أن يصل إليه اللصوص العاديون لان بلوغه يقتضي استعدادات فنية تستنفد مالا كثيرا . وسنذهب الليلة إلى هذا المكان فنضع هذه الشحنة وبذلك يكون لدي في أعماق البحر اثنا عشر مليونا من الجنيهات أضعها تحت أمرك ورهن إشارتك . فما تشتهين شيئا في الدنيا إلا كان حاضرا بين يديك في غمضة عين . وستعيشين معي كما تعيش الملكات . وبالتاكيد يهمني الا يعرف "لوبين" مكان هذا الكنز حتى لا تمتد إليه يده فليس في إمكاني ان أخلي سبيله إلا بعد أن اطمئن من هذه الناحية .

لم تتكلم "جوان" إذ كانت تعلم ان لا فائدة من الجدل والحوار . وانه لن يطلق سراح "لوبين" لا اليوم ولا غدا .. بل سيظل هكذا ينتحل الأسباب الواهية وينتحل الاعذار الكاذبة ليبقيه سجينا .

اقترب منها "بوهيم" ولمس ذراعها .. وسرت رعدة من الاشمئزاز في بدنها .. وعندما طوقها بذراعه خيل إليها أن أفعى رقطاء قد التفت حول عنقها . وحين اجتذبها إليه أغمضت عينيها كما يغمضهما الإنسان وهو يقذف بنفسه إلى هاوية الموت .

فجأة تراخت عضلاتها وترنح جسمها ثم هوت بين ذراعي "بوهيم" فاقدة الوعي ..!

فحملها ووضعها على أريكته ثم وقف فوقها يتأملها بعينين نهمتين ثم هز رأسه في استغراب وتركها وانصرف .

الفصل الثامن والعشرون

ظل "لوبين" رابضا على فراشه في الغرفة المصفحة وهو يفكر في الخطة التي ينبغي ان يقدم عليها .. لم يكن يدري على وجه التحقيق ما الذي يستطيع ان يفعله بمفرده حيال اثني عشر رجلا مسلحين بالمسدسات وهو غير مسلح إلا بمدية يشدها على ذراعه ليستعملها حين الحاجة ولم يفطن إليها خصومه حين فتشوه وجردوه من مسدسه. ولكن الشيء الوحيد الذي كان يعرف ان لابد من الإقدام عليه قبل كل شيء إنما هو خروجه من الغرفة المصفحة.

فلما جن الليل وهدات الأصوات قليلا واجتمع البحارة في غرفهم الخاصة يتناولون الطعام او يقرعون ادرك "لوبين" ان ساعة العمل قد حانت فاخرج من كمه اداة تحطيم الأقفال التي كان قد سرقها من بين الأدوات التي حطم بها الخزانة فاخذ يعالج بها باب الغرفة في حذر وسكون ... ولم تمض على ذلك دقائق معدودات حتى كان القفل مهشما .. وليس معنى هذا ان القفل من نوع رديء غير متين .. وإنما معناه ان القفل مهما بلغ من متانة لا يمكن ان يصمد امام "لوبين" إلا دقائق لا تذكر .. وما صمدت الخزانة الهائلة امامه إلا اربعين دقيقة .

فتح "لوبين" باب الغرفة تدريجيا وهو يصيخ بسمعه إلى اضال الأصوات ، فلما لم يسمع شيئا تسلل منه ثم اوصده خلفه ووقف متسترا بالظلام .

كان الدهليز الممتد امامه تقوم على جانبيه ابواب مختلفة موصدة . وما كان يدري اي باب يفتح .؟ وإلى اية غرفة يدخل .؟ فقد يلج غرفة يجد فيها البحارة مجتمعين فيبطشون به . كان يتلهف على مقابلة "جوان" وإشباع عينيه من جمالها ، ولكن رده عن هذه الرغبة الملحة جهله الغرفة التي توجد فيها .

وراى ان اسلم خطة هي ان يصعد إلى ظهر اليخت فينبطح على سطح إحدى الغرف يرقب .. ويرى . دون ان يرقبه او يراه احد كما فعل

في أول مرة تسلل فيها ليلا إلى اليخت .

ولما صعد "لوبين" إلى ظهر اليخت كان الظلام يسوده . ولكنه رأى نوراً ينبعث من غرفة عجلة القيادة فوثب إلى ظهر أقرب غرفة إليه ثم زحف حتى استقر فوق سطح الغرفة المضاءة .

وتناهى إلى سمعه صوت "بوهيم" وهو يقول :

- اتريدين قدحا من القهوة يا "جوان" ؟.

ولم يسمع "لوبين" جوابها . ولكنه دلى جسمه قليلا حتى حاذى رأسه أعلى النافذة فاستطاع أن يرى ما يجري في الداخل .. كانوا قد فرغوا من تناول العشاء .. وكان في الغرفة ثلاثة أشخاص : "جوان" .. و "بوهيم" .. و "شلنبرج" .. وذلك عدا البحار الذي كان يتولى إدارة عجلة القيادة .. وعدا الخادم الذي كان يتردد بين الدخول والخروج .!

وتراجع "لوبين" قليلا خشية أن يراه أحد منهم إذا رفع بصره إلى أعلى النافذة .

ورأى أن من الحماقة أن يثب إلى الغرفة فيها جم أربعة أشخاص وهو غير مسلح إلا بمدية لا تغني عنه شيئا أمام المسدسات التي ستصوب إليه من كل جانب . فآثر أن يتريث وينتظر حتى تحين فرصة مناسبة . وكان مطمئنا إلى أنهم لن يكتشفوا فراره من الغرفة المصفحة إلا في الصباح حين يحملون إليه الفطور .

وبعد فترة غير قصيرة سمع صوتا لم يسمعه من قبل فرجح لديه أنه صوت الرجل الذي يدير عجلة القيادة وهو يقول :

- الأنوار يا سيدي !

وفي هذه اللحظة رأى "لوبين" على الشاطئ ضوءا ينبعث من ثلاثة مصابيح حمراء وبيضاء تضاء وتطفأ على التوالي . فأدرك أنها إشارات معينة لهداية اليخت إلى مرساه .. وكان يعلم وهو يرى أنوار الميناء بعيدة عن هذه المصابيح أن اليخت سيرسو حتما في مكان بعيد عن الميناء طبقا لما استنتجه من قبل حين رأى الصناديق التي تحتوي على سبائك الذهب موضوعة على ظهر اليخت . وإلى جانبها أجهزة

الغوص دون أن يحاولوا تغطيتها .. وما كانوا ليتركوها عارية مشكوفة للأنظار وهم يدخلون إلى ميناء رسمي .

وقال "بوهيم" مجيبا :

قائلا :

- اصفحي عني يا عزيزتي إذا أرسلتك إلى الغرفة فإني أخشى أن تفكري في إلقاء نفسك إلى البحر والسباحة إلى الشاطئ كما فعلت من قبل .

فقالت الفتاة :

- إلى الغرفة ! ولكن ليس مع "لوبين" ؟

وكان صوتها حافلا بالتوسل والخوف .

وأجابها "بوهيم" بقوله :

- كلا بالتأكيد .. فإن الأمر يصبح شاقا عليك إذ ذاك .. يمكنك أن تذهبي إلى غرفتك الخاصة .. وسآذن لك بمغادرتها في أقرب وقت .

أمالت الفتاة رأسها ومشت خلف الخادم . واستطاع "لوبين" أن يلمح وجهها فرآه جامدا خائفا وفي عينيها نظرات تدل على المهانة والمذلة فتكشفت له حقيقة الأمر وعرف على الفور السر في بقائه حيا حتى الآن ! إنها تخشى أن تجتمع معه في مكان واحد حتى لا يرى العار الذي ركبها .. والفضيحة التي انحدرت إليها .. والهوان الذي تمرغت في أدرانه .. لقد باعت نفسها إلى "بوهيم" لتنقذه .. باعت عرضها .. وشرفها . وسمعتها لتمنحه الحياة !

تحفزت عضلات "لوبين" .. وتوترت أعصابه .. وخيل إليه أنه يوشك أن يثب إلى الغرفة فينشب أصابعه في عنق "بوهيم" ويزهق أنفاسه .

ولكنه كان يعلم أنها خطوة حمقاء فكظم ما بنفسه وراضها على السكون والتريث . وبذل في ذلك جهد الجبابرة حتى لقد شعر بأن الدماء توشك أن تنفجر من عروقه .

وارتفع صوت "شلنبرج" قائلا :

- وهل سننزل الذهب الليلة ؟

- هذا أسلم . فسرعة العمل أسلم عاقبة إذا ما برز "لوبين" إلى الميدان فإن من المحتمل أن يكون قد تمكن بطريقة شيطانية من الاتصال بأعوانه وإخطارهم بما حدث . بل إني أرى من الحكمة أن أغرق اليخت وأكف عن هذه الأعمال مؤقتا حتى يهدأ الجو وحسبي الملايين التي اجتمعت عندي .. وفي وسعنا فيما بعد أن نشتري يختا جديدا ونعاود العمل . ولكن لا تنس يا عزيزي "شلنبرج" أن مهمتك هي أن تتولى تصريف السبائك والجواهر الخام .

- لقد شرعت فعلا في هذا واتخذت العدة قبل أن نغادر دينار .

- إذن فكل شيء على ما يرام .

وجاءت هذه الجملة الأخيرة إلى أذني "لوبين" من طرف القاعة فأرسل بصره ورأى أن "بوهيم" قد فتح إحدى النوافذ ووقف يطل منها إلى البحر .

ونظر "لوبين" بدوره إلى البحر فرأى قاربا يدنو من اليخت وفي مقدمه مصباح كشاف باهر الضوء . فضاعف من التصاقه بسطح الغرفة حتى لا يبدو جسمه في غمار النور الكشاف .

ولما حاذى القارب اليخت سمع "لوبين" صوت "بوهيم" وهو يقول:

- أهلا بك يا عزيزي "فورنييه" .. اصعد .. اصعد .

ثم تحول إلى ماسك الدفة وقال له :

- نبه على "كارلوف" بأن يستعد للغوص بعد ربع الساعة ونبه على "رانفيل" بأن يعد لي جهازاً لأغوص أنا أيضا .

وابتعد ماسك الدفة فتولى "بوهيم" عجلة القيادة بدلا عنه .

وفتح باب الغرفة وخرج منها ماسك الدفة .

ورأى "لوبين" أن ساعة العمل قد حانت .. وأنها فرصة سانحة من الحماقة أن يدعها تفلت من بين يديه .

ولما مر ماسك الدفة من الموضع الذي يربض فيه "لوبين" فوق سطح الغرفة انقض عليه "لوبين" فجاة وكانت يداه قد انطبقتا على عنقه قبل أن تنفرج من بين شفتيه الصرخة الهائلة التي أوشك أن يطلقها .

وفي اللحظة التالية راى ماسك الدفة مدية يلتمع نصلها في الظلام .
وظل النصل يهوي حتى لمس عنقه بشفرته الباردة .
وهمس "لوبين" في اذنه يقول :
- إذا صرخت او استنجدت فانت هالك .!
ووضع "لوبين" المدية في غمدها وجرد الرجل من مسدسه ثم صوبه إليه وهو يقول له :
- والآن انهض وإياك أن تستنجد .!
ثم رفع يده عن عنقه فنهض الرجل واقفا وما زالت الدهشة آخذة منه وقال له "لوبين" :
- إذا أردت ان تعيش طويلا فاستمع لما اقول .
فحنى الرجل راسه موافقا فاسترسل "لوبين" يهمس في اذنه :
- لا تنبىء "كارلوف" برسالة "بوهيم" .. وإنما اذهب بي إليه وقل له . إن "بوهيم" يامره بان يلبسني بذلة الغوص لاني انا الذي سانزل إلى البحر مع "بوهيم" .. وهذا هو كل ما اريد منك .. ساضع المسدس في جيبي .. ولكن اصبعي سيكون على الزناد .. فإذا بدرت منك بادرة تدل على الغدر استقرت رصاصة في قلبك.. فإياك أن تفكر في الوشاية بي .! ومسالة اخرى .. هي أن تنبه على "كارلوف" عن لسان "بوهيم" بان يبقى في الغرفة ولا يصعد إلى ظهر اليخت ليراقب باقي البحارة حتى يحول دون صعود اي واحد منهم إلى ظهر اليخت .. افهمت .؟
فحنى الرجل راسه مؤمنا ولاحت على شفتي "لوبين" ابتسامة تدل على الظفر والانتصار .. ومشى إلى جانب ماسك الدفة وهو واثق بان مصائر الأمور قد انقلبت إليه و أن الحظ بدأ يحالفه .

الفصل التاسع والعشرون

وضع "لوبين" يده في جيبه واصبعه فوق زناد المسدس متهيئا للطوارئ ولما اقتربا من غرفة البحارة قال يخاطب ماسك الدفة :

- امسك بذراعي حتى يحسبوني أسيرك .. وإياك أن تفكر في الغدر بي وإلا فالموت يترقبك .

وكانت الغاية التي يرمي إليها "لوبين" من مرافقة "بوهيم" إلى قاع البحر هي أن يعرف المخبأ السري الذي يكنز فيه السبائك والجواهر .. ليس في هذه الناحية سفن غارقة يريد أن ينتشل شحنتها .. فالتفسير الوحيد هو أنه سيخفي ما أخرج من الباخرة شلفونت في قاع البحر . وهكذا يمكن أن يقال : "من الأرض .. وإلى الأرض يعود ." !

وقال ماسك الدفة يخاطب البحارة :

- يقول الرئيس إن "لوبين" سينزل ثانية إلى البحر .

وأصغى "لوبين" إلى كلمات الرجل في اهتمام .. كان صوته ثابتا لا يوحي شيئا من الشك إلى النفوس . ومع ذلك فقد كان "لوبين" متهيئا لإطلاق الرصاص عندما تبدر من البحارة بادرة تدل على أن الشك بدأ يخالجهم . ولكن لم تساورهم الوساوس وقد نزل "لوبين" من قبل إلى البحر . فما الذي يمنع أن ينزل مرة أخرى ؟

واسترسل ماسك الدفة يقول :

- وهو يأمرك يا "رانفيل" أن تعد له بذلة ليرافق "لوبين" إلى القاع .. فاسرع ..!

- حسنا .

وخرج "رانفيل" يصحبه "فاريل" . وهم "كارلوف" بأن يلحق بهما ولكن ماسك الدفة استبقاه قائلا :

- أما أنت يا "كارلوف" فابق هنا وراقب الآخرين حتى لا يصعد أحد منهم إلى ظهر اليخت عدا المهندس ومساعده . كما أمر بذلك الرئيس .

فقال "كارلوف" في استغراب :

– وما الداعي إلى هذا الاحتياط العجيب .؟

فهز ماسك الدفة كتفيه قائلا :

ـ لا أدري .. إنها أوامر الرئيس .

ثم خرج وفي رفقته "لوبين" الذي أوصد الباب خلفه .

لقد نجحت الخدعة وجازت عليهم جميعا .. كان "لوبين" يعلم أن في الأمر مجازفة جنونية إذ من المحتمل أن يصعد "كارلوف" إلى ظهر اليخت لحظة واحدة فتنكشف المكيدة عندما يراه "بوهيم" . ولكن "لوبين" كان يعتمد على ما هو معروف عن "بوهيم" من شدة البطش وقوة البأس وما خبره من طاعة رجاله له طاعة عمياء . وحرصهم على تنفيذ أوامره بمنتهى الدقة والرضوخ .

ولما مر "لوبين" وهو يجتاز الدهليز بالغرفة المصفحة فتح بابها ودفع إليها ماسك الدفة ولكمه لكمة ألقته على الأرض صريعا ثم كمم فمه وأغلق الباب وصعد وحده إلى الظهر .. ولم يدهش "رانفيل" و "فاريل" حين رأياه مقبلا وحده وماسك الدفة لا يحرسه.. ورجح لديهما أن ماسك الدفة لا يزال ينهي إلى "كارلوف" الرسالة التي أمره "بوهيم" بنقلها إليه.. ولم يكن ثمة ما يدعو إلى انزعاجهما وهما يعلمان أن "لوبين" أعزل من السلاح .

ومضى إليهما "لوبين" فساعداه على الدخول إلى جهاز الغوص.. ولما كان يعلم أن "بوهيم" سيصعد إلى ظهر اليخت بعد قليل فقد انتحى ركنا من المكان على مقربة من الخطاف حتى لا يراه "بوهيم" عند خروجه . ثم اغتنم غفلة منهما فأخرج مديته من جيبه وأخفاها في طيات الجهاز من الخارج حتى إذا احتاج إليها وهو في قاع البحر أمكنه أن يتناولها من بين هذه الثنايا ويستعملها .

وبعد قليل سمع وقع خطوات مقبلة يصحبها صوت "بوهيم" وهو يقول :

– إذن وداعا يا مسيو "فورنييه" .. وإلى الغد .

– إلى الغد يا سيدي .

وقال "لوبين" مخاطبا "رانفيل" قبل ان يحضر "بوهيم" :

- ضع الخوذة على راسي واحكم إغلاق الجهاز .

فعندما جاء "بوهيم" كان "لوبين" داخل جهازه لا تبدو منه إلا عينان تتالقان خلف الزجاج السميك .. فلو ان "بوهيم" نظر إليه لما عرف ان الرجل الذي في داخل الجهاز هو "لوبين" لا "كارلوف".

وبعد بضع دقائق انطبقت خطاطيف الآلة الرافعة على جهازي الغوص واخذت تدليهما إلى الماء .. وفي نفس الوقت اضيء مصباح كشاف في مقدم اليخت فارسل ضوءه إلى الماء في خط عمودي تقريبا .

وبعد قليل بلغا البحر .. ولم يكن "لوبين" يدري المهمة المطلوبة منه بصفته "كارلوف" .. ولكنه كان حريصا على ان يتبع "بوهيم" في خطواته إذ المعقول ان يسيرا معا .. غير انه لاحظ فجاة ان "بوهيم" يشير إليه إشارات يفهم منها انه يطلب منه ان يبتعد عنه فابتعد على عجل في الاتجاه الذي اشار إليه "بوهيم" .. وسمع صوته في التليفون يقول :

- انزلوا الخطاف .!

وراي "لوبين" خطافا هائلا من الفولاذ يهبط فوقهما .. وراى "بوهيم" وقد امسك باحد طرفي الخطاف وجره وادناه من صخرة هائلة قائمة في قاع البحر .. ففعل مثله وجذب الطرف الثاني من الخطاف وقد ادرك ان "بوهيم" يريد ان يطوق الصخرة بالخطاف.!

واحاط الخطاف بالصخرة إحاطة السوار بالمعصم .. ثم سمع صوت "بوهيم" يقول :

- ارفعوا الخطاف .!

واخذ الخطاف يرتفع تدريجيا حاملا معه الصخرة الهائلة فانكشفت فجوة في موضعها هي عبارة عن باب يفضي إلى كهف في قاع البحر .

وفي هذا الكهف كان "بوهيم" يخفي جواهره وسبائكه الذهبية التي تقدر باثني عشر مليونا من الجنيهات .

الفصل الثلاثون

نزل "فون بوهيم" إلى الكهف فهم "لوبين" بان يحذو حذوه ويتبعه. ولكن هذا اشار إليه بيده قائلا :

- ابق مكانك وحرك الصناديق لتدخل في الفوهة .

فلبث "لوبين" في مكانه عند مدخل الكهف . وبعد لحظات راى الخطاف يهبط إلى الماء ثانية وقد انطبق فكاه على صندوق من الصناديق التي تحتوي على السبائك الذهبية . واخذ "لوبين" يحرك الخطاف ويزحزحه بكل ما فيه من قوة إلى ناحية الفوهة حتى إذا صار فوقها بالضبط تكلم في التليفون قائلا :

- انزلوه تدريجيا !

وبدا من في اليخت يدلون الخطاف تدريجيا داخل الفوهة حتى إذا استقر على أرض الكهف تولى "بوهيم" العمل فابعد فكي الخطاف عن الصندوق ثم ارتفع صوته في التليفون يقول :

- اسحبوا الخطاف !

خرج الخطاف من الكهف واخذ يعلو تدريجيا حتى بلغ سطح الماء وبعد دقائق قليلة ظهر الخطاف ثانية وبين فكيه صندوق ثان فاخذ "لوبين" يحركه كما فعل في المرة الأولى إلى ناحية الفوهة . وتكررت نفس العملية السابقة .

وهكذا ظل الخطاف يعلو ويهبط حاملا معه في كل مرة صندوقا جديدا من صناديق الذهب .

كان "لوبين" يعد الصناديق واحدا بعد الآخر ويغتنم فرصة الفترة التي بين إنزال كل صندوق وآخر فيدنو من انابيب المطاط التي تصل الهواء إلى جهاز "بوهيم" ويحزها بالمدية التي اخرجها من طيات جهازه .

كان "لوبين" يعلم ما يفعل .. ولكنه كان يفعله في برود .. وفي رباطة جاش دون أن ينبض في قلبه عرق بالرحمة او الشفقة .

كان يذكر في هذه اللحظة الأستاذ "ماركو" وكيف حبس عنه "بوهيم" الهواء وهو في قاع البحر وتركه يموت اختناقا .

ثم ذكر نفسه وكيف كان واقفا امام باب الخزانة في القاع وهو يترقب الموت ما بين لحظة واخرى .. ويترقب ان يضيق تنفسه ويختنق . وما انقذه من هذه الميتة القاسية إلا الثمن الباهظ الذي دفعته "جوان" !

وهنا تذكر "جوان" وتضحيتها الأليمة فاشتد حقده على "بوهيم" وانتفت من قلبه كل ذرة من ذرات الرحمة .. إذا كان في قلبه شيء منها .

ليس العدل في أن يقتل "بوهيم" .. وإنما العدل في أن يقتل بنفس الطريقة التي قتل بها ضحاياه .. لقد حبس عنهم الهواء فليحبس عنه الهواء بدوره .. والجزاء من جنس العمل .

هذا هو عدل "لوبين" .. وإنه العدل السليم الصحيح !

ومضى "لوبين" يحز أنبوبة الهواء تدريجيا دون أن يقطعها قطعا حتى إذا حانت اللحظة المناسبة كانت ضربة واحدة من مديته كافية لأن تمزقها وتعجل بالنهاية المنشودة .

وأخيرا ارتفع صوت "شلنبرج" يقول في التليفون :

- لقد تم نقل الصناديق كلها !

فقال "بوهيم" مجيبا :

حسناً .

وظهرت خوذته وهو يخرج من الكهف . وفي هذه اللحظة ضرب "لوبين" ضربته القاضية فمزق الأنبوبة تمزيقا تاما . وانحبس الهواء عن "بوهيم" .

ولكنه لم يدع طرف الأنبوبة يعلو ويطفو على سطح الماء وإنما شده إلى صخرة في القاع . وفي اللحظة التالية قطع السلك التليفوني الذي يصل جهاز "بوهيم" باليخت !

وإن هي إلا لحظات حتى بدا الهواء يفسد .. واخذت انفاس "بوهيم" تضيق .. ورآه "لوبين" خلف الزجاج وهو يحرك شفتيه متكلما ظنا منه أن صوته يصل إلى اليخت بواسطة التليفون .

وهنا اقترب منه "لوبين" ونقر بيده على زجاج جهازه فنظر هذا إليه بعينين بدأ يظهر فيهما الرعب .

وأدنى "لوبين" وجهه منه وأشار إليه بيده كأنما يقول له :

- انظر إلى وجهي !

ونظر "بوهيم" إلى وجهه وعرفه على الفور .

وهنا ارتسمت أمارات الرعب والفزع في عينيه ! ووثب إلى ناحية "لوبين" على قدر ما يستطيع من تحريك ذلك الجهاز الثقيل كأنما يريد أن يبطش به .. ولكن "لوبين" ابتعد عنه بسرعة ووقف يرقبه من بعيد متشفيا بهذه اللحظة التي انتقم فيها من الرجل الذي يقتل ويريق الدماء دون أن تخالجه عاطفة من الرحمة !

وتكلم "لوبين" في التليفون مقلدا صوت "بوهيم" :

- إني سأبقى قليلا هنا فاسحبوا الجهاز الآخر .

ولما استقر "لوبين" على ظهر اليخت أسرع إليه "رانفيل" ورفع الخوذة وأخرج "لوبين" رأسه من الجهاز كما أخرج يده في نفس اللحظة .

وكان في يده مسدس صوبه إلى الحاضرين وهو يقول :

- الآن انتهت اللعبة أيها الأصدقاء !

وما سمع البحارة صوته التهديدي وما رأوا المسدس في يده حتى دب الرعب في قلوبهم ونظروا إليه في فزع وخوف .

واستدار إليه "شلنبرج" وهتف قائلا :

- أنت ..! كنت أعتقد أن "كارلوف" هو الذي نزل في الماء !

وخرج "لوبين" من الجهاز وهو لا يزال شاهرا مسدسه وتكلم في صوت رهيب قائلا :

- لقد مات "بوهيم" .. من قتل يقتل .. وبنفس الطريقة ..! لقد حبست عنه الهواء .. وهذا هو العدل ..! فمن شاء منكم أن يلحق به فليتحرك حركة واحدة .. فالمسدس الذي في يدي قد ينطلق في أية لحظة ..!

وكأنما أخذ "شلنبرج" بهذه النصيحة فامتدت يده إلى جيبه . ولكن قبل أن تبلغه كانت قد انطلقت رصاصة من مسدس "لوبين" استقرت في

صدره ! فترنح وسقط على الأرض !

وقال "لوبين" يخاطب الباقين :

- ايريد احدكم ان يستريح إلي جانب "شلنبرج" ..؟ لا ..؟ حسنا إذن ارفعوا الأيدي .. اما انت يا "رانفيل" فعليك ان تتولى شد وثاق زملائك ثم رافقني إلى غرفة البحارة لتتولى تقييد الآخرين .

وهنا ارتفع صوت من ناحية السلم يقول :

- لقد قيدناهم نحن بانفسنا !

وخرج من ظلام السلم ثلاثة رجال هم : صديقاه :"كولمان" و"جيلبرت" يتبعهما البوليس السري الامريكي "جون مندرسن" بجسمه الضخم وراسه الأصلع ..!

الفصل الحادي والثلاثون

قال "كولمان" يحدث رئيسه بما وقع :

- كنا في الفندق نضرب اخماسا في اسداس ونتساءل عن الوسيلة التي تمكننا من الاتصال بك . وفجاة وصلت إلينا البرقية اللاسلكية التي ارسلتها مس "جوان بارلو" .. فانطلقنا إلى يختك وحضرنا مسرعين . وكان لنا في الليل ستار حجبنا عن الانظار فاستطعنا ان نستقل قاربا دنونا به من اليخت في الوقت الذي كانت صناديق الذهب تنقل إلى القاع فلم يفطن إلى اقترابنا احد إذ كانوا منهمكين في نقل الذهب .. فصعدنا إلى اليخت من الجهة الخلفية ونزلنا إلى الغرف وهاجمنا البحارة الذين كانوا في الداخل وقيدنا وثاقهم وكممنا افواههم .

فاشار "لوبين" إلى البوليس السري الأمريكي وقال :

- وكيف هبطت عليكم هذه النكبة الأمريكية ؟

- لقد زارنا في الفندق واخذ يتحدث عن "جوان" في لهجة حماسية مشوبة بالخوف فاعتقدنا انه زوجها .. فراينا ان لا مانع من ان نستصحبه معنا لنتفرج عليكما وانتما تتبارزان . فضلا عن اننا ظننا انه قد ينفعنا بشيء ما .

وتكلم "جون مندرسن" قائلا :

- اظن يا "لوبين" انه حان الوقت لكي اشكرك على إنقاذك حياتي مرتين في يوم واحد . ولكن ليس معنى الشكر اني سادعك تسرق هذه الكنوز .. كلا .. إني لست من هذا الطراز .. وليس في وسعك ان تلفني على اصبعك كما فعلت بـ"جوان" . فمادمت موجودا هنا فساتولى الأمر بنفسي . ولكن ثق اني ساتباحث مع شركة انجربيك" لتمنحك عمولة معينة .. وهذه فيما اعتقد اول مرة تنال فيها مالا عن طريق شريف .

فابتسم "لوبين" وقال :

- إني اكل لك الأمر كله عن طيب خاطر فمر بما شئت .

فقال "مندرسن" :

- اذهبوا على الفور إلى الشاطئ وأخطروا رجال البوليس بما حدث اما انا فسابقى هنا لاحرس اجهزة الغوص حتى اكون على ثقة من انكم لن تقربوها . والويل لمن تحدثه نفسه منكم بان يستعمل احد هذه الأجهزة .. فإني في هذه الحالة لن ارحمه .. وساطلق عليه النار بلا تردد .

فقال "لوبين" :

- احرس يا عزيزي الأجهزة كيف شئت .. واعلم أني ساكون سعيدا بان اتلقى العمولة التي ستمنحها لي الشركة .. لقد سئمت حياة اللصوصية وبودي أن اكفر عن آثامي وخطاياي . ولهذا ساظل مدى العمر افاخر الناس واقول لهم في زهو وخيلاء : انظروا .. لقد جاءتني هذه الأموال عن طريق شريف ..!

فقال "مندرسن" :

- والآن هيا إلى الشاطئ .

- اسمح لي أولا أن اخلو برهة إلى "جوان" .

وخلا إليها .. وكانت جالسة علي ظهر اليخت وشعرها متهدل على كتفيها ولوجهها نضرة الصبا التي فتنته واستولت علي لبه .

وود لو أنه احتواها بين ذراعيه واطبق على شفتيها .

ووقف ينظر إليها برهة فتكلمت في صوت موسيقي عذب قائلة :

- الا تنوي أن تنضم إلى شركتنا ..؟

فهز راسه وقال :

- وهل تعتقدين أن "لوبين" يمكن أن يكون بوليسا سريا ..؟

- إني أرى أنك نجحت فيما اخفقنا فيه نحن .

فابتسم وقال :

- لست اقصد هذا .. وإنما اردت أن اقول إن "لوبين" لا يمكن أن يرضى بان يربح مالا عن طريق حلال شريف .

- وفي المستقبل ..؟

- المستقبل ..!

ثم هز كتفيه في استخفاف قائلا :

- ساظل اعيش كما كنت .. سعيدا بان اناضل رجال البوليس.. سعيدا بان ارى الدنيا كلها تتالب ضدي وانا اكافحها بمفردي دون ان تتاح لهم فرصة ينالون فيها مني .. ساسرق .. واناضل .. واربح .. واخسر .. واطمع فيما لا انال .. وانال مالا اطمع فيه .. واساعدهم فيه.. واكافح الموت .. والحياة .. واحارب رجال البوليس .. واساعدهم .. وأوصف باني لص .. ولكني انفذ القانون .. نعم . ساظل اعيش كما كنت اعيش .. واقذف بنفسي إلى المتاعب والمغامرات .. وقد احب مرة اخرى فلا اطمع منها في شيء إلا في نظرة عطف او ابتسامة رضاء .. اما خاتمة حياتي فلا أدري عنها شيئا .. ولا يهمني أن ادري .. وقد اشنق .. وقد اصاب برصاصة .. وقد اطعن من الخلف .. ولكني لن اندم.. لن اندم مطلقا .. فقد عشت الحياة التي خلقت لها .. والتي يجري في دمائي حبها وإيثارها .

ونظرت إليه "جوان" طويلا ثم تمتمت تقول :

- إذن وداعا ..!

فقال مرددا :

- وداعا ..!

وانحنى على يدها يقبلها في خشوع وتقديس .

ثم ابتعد متواريا .. وابتلعه الظلام ..!

* * *

وفي الطريق إلى اليخت "كورسير" تنهد "كولمان" وقال في اسف:

- إذن فقد خرجنا بلا ثمرة ..! كانت الملايين في ايدينا ومع هذا لم نصب منها بنسا واحدا .

فابتسم "لوبين" وقال :

- وما أدراك ..؟ احسبتني طفلا ارهب مسدسا يصوب إلي ..! كاني

بك لا تعرفني ..! سنذهب إلى يختي .. وفور وصولنا سارتدي مع واحد منكم جهازي الغوص الموجودين هناك .. ثم نعود متسللين في جنح الظلام فنهبط إلى القاع ونغترف من الكنز ما شئنا .. إن "مندرسن" الأبله يظن انه بسهره على اجهزة الغوص الموجودة في اليخت بلومبرج قد ضمن عدم هبوط احد إلى القاع..! ففي يختي جهازان ستستعملهما بعد ساعة أو ساعتين ..! إن في الكهف اثني عشر مليونا من الجنيهات .. فإذا استولينا على مليون منها لم يشعر احد بما نقص..! فاستعدوا يا أولادي فان "لوبين" لا ينهزم ولا يتراجع ..!

"تمت بحمد الله"

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها، وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) وان يكون الشيك مسحوب على مصرف في لبنان على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : باسم

دار ميوزيك

أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
				١٦	١٥	١٤	١٣	١٢	١١

الإسـم : ....

العنوان : ....

ص.ب .... المدينة : ....الرمز البريدي : ....

الدولـة : ....

مرسل طيّه شيك بمبلغ .... دولار أمريكي.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها..
سارع في إرسال طلبك !

١	ارسين لوبين بوليس آداب		
٢	أرسين لوبين بوليس سري		
٣	الماسة الزرقاء		
٤	ارسين لوبين رقم ٢		
٥	أرسين لوبين في السجن		
٦	المعركة الأخيرة		
٧	أرسين لوبين في موسكو		
٨	أرسين لوبين في قاع البحر		
٩	ارسين لوبين في نيويورك		
١٠	اسنان النمر		
١١	الميراث المشؤوم		
١٢	اصبع ارسين لوبين		
١٣	لصوص نيويورك		
١٤	اعترافات أرسين لوبين		
١٥	الإبرة المجوفة		
١٦	الإنذار		